المنظور القرآني
في بناءِ عقيدة الإنسان

الأستاذ المساعد الدكتور
رؤوف أحمد محمد الشمري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المنظور القرآني في بناء عقيدة الإنسان

الأستاذ المساعد الدكتور
رؤوف أحمد محمد الشمري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المقدمة:ـ

إن أحقَ ما تنصرف الهمم إلى العناية به من الأمور، ما كان أصلاً لغيره، وحاكماً عليها، فيما ينشأ من تشعب الأفهام والاختلاف عنها، ذلك هو القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير.

ومما يؤسف له أنه مر على المسلمين حينٌ من الدهر نسوا الله سبحانه فأنساهم أنفسهم، وركنوا إلى من لا يسمن ولا يُغني من جوع من نظريات في شتى المجالات متجهين إليها، وعوّلوا عليها، وظنوا أنهم على الخبير وقعوا، وما عرفوا أنهم تركوا القرآن وراءهم ظهريا، فأصبحوا في مؤخرة الأمم نسياً منسيا، وإذا كان الله سبحانه نص على أن عاقبة إضاعة أمر واحد من أوامره وهو الصلاة الغي في الدنيا قبل الآخرة فكيف بمن أضاعوا جُلَّ أوامره وركبوا جُلَّ معاصيه، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[1]، مع أن القرآن بين أيديهم صالح للتطبيق في العمل، قادر على أن يقود الإنسان إلى طريق الهداية والرشاد ويبلغ به غاية الأمل، إذا ما وجدَ الدعاة المخلصون والقادة المجاهدون والعلماء العاملون، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[2].

لذلك لا يمكن أن نتصور منهجاً متفاعلاً مع الإنسان بجميع جوارحه ومواهبه وأجزائه ومكوِّناته، غير المنهج القرآني الذي هو دستور حياة ونظام يرسم طريقها في جميع ميادينها.

أما سبب اختياري لموضوع البحث فهو: إن واقعنا الذي نعيشه اليوم واقع مؤلم، إذ نعيش في عالمٍ الإنسان فيه لا يحفل كثيراً بالمنهج القرآني في حياته، مع أن القرآن المجيد ضم في ثناياه دقائق ما يحتاج إليه الإنسان، وتبدو للباحث انها مرتكزة في بنائه المعرفي (العقلي والعقائدي) والعبادي والاجتماعي، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾(٣)، فإنسان اليوم بهت عن هذه المرتكزات، ونأى بنفسه إلى منهج رسمه له هواه وصاغه بقوالب لا تمت إلى فطرة الإنسان بصلة، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾(٤).

فالتنكر للمنهج القرآني (المثل الأعلى) من قبل البشر ومحاولتهم أن يضعوا للحياة مثلاً أعلى من تلقاء أنفسهم، ومنهجاً آخر للمعرفة والسلوك إنما يضعون نماذج سيئة ضارة (مثل السَّوء)، يقول سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٥)؛ ومن أجل الإسهام في بيان المنهج والرؤية التي تسهم في انتشال الإنسان من الحال التي هو فيها، كان سبب اختيار هذه الدراسة.

وكذلك سعة الموضوع وتشعبه وتعدد جوانبه ومجالاته، وما كانت تلك المعوقات والصعوبات لتحول بيني وبين المضي في طريق كنت قد اخترته بنفسي، لإيماني بأنه موضوع يستحق كل جهد وعناء وتجرع للصبر.

أما منهج الدراسة: فلم يقتصر على منهج واحد؛ لأن مجال بناء الإنسان يتيح للباحث أن يستعمل عدداً من مناهج البحث العلمي وبما أن طبيعة الموضوع الذي يقوم الباحث بدراسته هي التي تفرض عليه المنهج المناسب

فإنه بالإمكان استعمال الباحث:

المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف (إلى وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ودراستها وتحليلها وأخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية)(٦).

كما استعمل الباحث **المنهج الاستنباطي** وهو (الذي يركز فيه الباحث على استنباط الأحكام أو الأفكار من النصوص، لأن النصوص لم تنص عليها نصاً ظاهراً)(٧) وذلك (بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة)(٨).

وكان الباحث قد اعتمد على كتب متنوعة، تنسجم مع طبيعة الموضوع، مع الارتكاز على كتب التفسير، تقيُّداً بعنوان البحث.

خطة البحث: وتحقيقاً للأهداف والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع، فقد كان البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

وكانت خاتمة المطاف بذكر أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج، أعقبه ثبت بأهم المصادر والمراجع التي لم أضن بها على بحثي، ولم أقصّر في القراءة الواعية المتأنية لكل مصدر من المصادر التي تيسر لي الرجوع إليها.

ختاماً: لست أدّعي - بعدما ذكرت - أني بلغت الغاية في هذا البحث، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٩).

تمهيد:-

نتناول في هذا البحث جانباً أساسياً من البناء المعرفي للإنسان وهو البناء العقدي،ذلك أنّ البناء التحتي لكل نشاطات الإنسان يعتمد على العقيدة؛ لأن فعاليات الإنسان العملية تنطلق من أُسس فكره واعتقاده، لا كسائر الحيوانات

المدفوعة في حركاتها بدافع غريزي، فأعمال الإنسان بلورة لعقائده وأفكاره، ومن هنا فإن جميع الأنبياء عليهم السلام بدأوا قبل كل شيء بإصلاح الأُسس الاعتيادية للأمم والشعوب، وحاربوا الشرك بشكل خاص، بعدّه أساس أنواع الرذائل والتمزق الاجتماعي.

وسيعكف الباحث في هذا البحث على بيان البناء العقدي لأصل عقيدة التوحيد في المنظور القرآني بصورة عامة من دون سائر الاعتقادات الأخرى، جاعلاً من الآيات القرآنية دليلاً في بحثه من دون آراء الرجال ومشاربهم[١٠]، مع الأخذ بنظر الاعتبار الأصول الإعتقادية الأخرى كأصل الإيمان بالنبوة واليوم الآخر، فهذه الأصول الاعتقادية الثلاثة هي التي أكد عليها القرآن الكريم، يقول السيد الطباطائي: (الإيمان بالله في عرف القرآن التصديق بوحدانيته ورسله واليوم الآخر وبما جاء به رسله مع الاتباع بالجملة)[١١]، فالرجال (الذين كانوا في زمان الرسول صلى الله عليه وآله كانوا جازمين متيقنين كاملي الإيمان والمعرفة والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا، وهذه المذاهب ما تولدت إلا بعد زمان الصحابة والتابعين)[١٢].

من هذا نفهم أن المسلمين الأوائل استعملوا لفظ العقيدة (للدلالة على المفاهيم المنبثقة من نصوص الوحي التي يشكل مجموعها تصور المسلم الكلي للوجود، ويبدو لنا عند استعراض كتابات الأولين أن مفهوم العقيدة لم يتطور ويأخذ المعنى المستعمل اليوم إلا في مدة متقدمة من تطور الفكر الإسلامي)[١٣].

وعلى كل حال فعقيدة التوحيد هي (الأساس في التربية والقاعدة في التوجيه والفكر وأنها اللحمة التي تجمع شتات الأمة والنظام الذي يحفظ كيانها من التفكك والإنحلال، وإذا لم تؤسس التربية - البناء - على هذه العقيدة، جاءت التربية خالية من الجوهر والمعنى)[١٤].

ويرى الباحث أيضاً أن الالتزام العقدي هو ما يقوم على توحيد الله تعالى الكامل الذي هو أصل الإيمان، والذي يتضمن معنى أركان الإيمان جميعاً (فالإيمان بالله تعالى أصل العقيدة ومحورها، وأساس غيره من عقائد الدين كالإيمان باليوم الآخر والكتب الإلهية والنبوة ونحوها، وهو أصل للالتزام بما جاء في الدين من العبادات والأخلاق والأحكام)(١٥).

فكان القرآن الكريم منهجاً علمياً يساعد الإنسان على بناء ذاته، والارتقاء بها في مرضات الله تعالى، وإرشاده إلى ما يحقق الضبط الداخلي لنفسه ضد الإنحرافات العقدية، وغيرها من الأفعال والأقوال، وقد استعمل القرآن الكريم سُبلاً شتى وأساليب متنوعة من أجل بناء عقيدة راسخة متينة تؤتي أُكلها وثمارها على الواقع العملي، ولعله من أهم هذه الأساليب التي يمكن بيانها ما نلحظه في المطالب التالية بعد بيان مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح:

العقيدة في اللغة والاصطلاح:-

١- **العقيدة في اللغة:** يقال: اعتقد الشيء، اشتد وصلب، ويقال اعتقد الإخاء بينهما إذا صدق وثبت واستحكم، واعتقد فلان الأمر صدّقه وعقد عليه قلبه وضميره، حتى قيل: العقيدة: مايدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك(١٦).

وبذلك يتضح أن العقيدة لغةً: هي أخذ الشيء بقوة مع إحكامه وتوثيقه، ونلحظ أن كلمة عقيدة لم تأت في القرآن الكريم، وإنما جاءت: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾(١٧). أي حالفتم وعاهدتم(١٨). وفي قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾(١٩). أي وثقتموها بالقصد والنية، كما وردت كلمة العقود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا

بِٱلْعُقُودِ﴾[٢٠]. أي بالعهود المؤكدة الوثيقة[٢١] ووردت كلمة (**عُقدة**) في قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[٢٢]. أي عقد الزواج[٢٣]. وقد وردت كلمة (**العُقد**) في قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[٢٤]. أي النساء الساحرات اللاتي يسحرن بالعقد على المسحور وينفثن في العقد[٢٥].

وبهذا نلحظ في تفسير الآيات أن المعنى اللغوي لكلمة (عقيدة) مشترك في سائر الآيات، فهي تفيد الثبوت والإحكام والربط والشد، واستعملت هذه الكلمة لبيأن أن العقيدة - في الإسلام - هي موطن الربط المحكم، وموضع الشد الموثق، ومحل التصميم والاعتقاد الجازم، وقد اندرج تحتها موضوعات عّدة طُلب إلى المرء أن يحكّم اعتقاد قلبه بها، وأن يعزم عليها بالقصد البليغ ولعل أن اصطلاح العقائد الإسلامية جاء من هنا بعد أن تبين أن لفظ (عقيدة) لم يرد في القرآن الكريم.

٢- **العقيدة في الاصطلاح:** يقصد بها بعض المصطلحين الاعتقاد من دون العمل[٢٦]، وسمي هذا العلم بالعقيدة لتعلقه بما انعقد في القلب دون العمل بالجوارح، فكان المقصود منه نفس العلم بخلاف علم الفروع، فالمقصود من العمل أفعال الجوارح كالصلاة ونحوها[٢٧].

وقولهم يقصد به الاعتقاد دون العمل هو جانب نظري يُطْلَب الإيمان به أولاً شريطة أن يكون إيماناً لا يرقى إليه الشك، ولا تؤثر فيه شبهة[٢٨]، ولا يعني فصل العقائد عن العمل بالممارسة والفعل إنما تفصل لأغراض الإيضاح والتعليم.

وعرفها حسن البنا (ت١٩٦٦م) بصيغة الجمع فقال: (العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك)[٢٩].

فالعقيدة الإسلامية هي: (الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في إلوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والإتباع)[٣٠].

المبحث الأول

أسلوب معالجة عوائق بناء العقيدة ومجالاتها

لا بد لكل أمر - حتى يوجد ويتحقق - من تحقق مقتضيات وجوده زوال موانعه، وللعقيدة مقتضيات عُني القرآن الكريم بتحقيقها وإيجادها وموانع أو عوائق عُني بإزالتها ومعالجتها، وهذه الموانع منها موانع نفسية ومنها عقلية ومنها اجتماعية، والتي تبدو في ما يأتي:

أولاً - الجهل:

إن الجاهل بأمرٍ ما كالإناء الفارغ، يستقبل ما يُلْقى إليه، فيتبع ويقلد كي يملأ هذا الفراغ، ولقد وجد في التأريخ البشري من جهل حقيقة التوحيد فعبد غيرَ الله، ووجد من جهل حقيقة النبوة، فراح يجادل فيها ويكابر ويعاند، ووجد من المسلمين من جهل دينه فراح يخلط بينه وبين الأديان الأخرى، وسنتناول في هذه المسألة الجهل بحقيقة التوحيد والنبوة بوصفهما من أهم الأصول العقدية.

١- **الجهل بحقيقة التوحيد:** ذكر القرآن الكريم أناساً جهلوا حقيقة التوحيد فعبدوا غير الله، فهاهم بنو إسرائيل يطلبون من موسى عليه السلام وهم حديثو عهد بالمعجزة - أن يجعل لهم إلهاً صنماً، تقليداً لعبدة الأصنام، قال

تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٣١)، فبعد أن نجاهم الله سبحانه من بطش فرعون وما لمسوه من معجزات، أخذوا يطلبون بجهلهم مالا يجوز لهم، يقول الشيخ الطبرسي: (وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم، بعدما رأوا الآيات المترادفة، والمعجزات من حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى، ولم يعرفوا أن المجعول لا يكون إلهاً، وأن الأصنام لا تكون آلهة، ويمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز أن يُتَقَرَّب إلى الله تعالى بعبادة غيره، وأن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه..)(٣٢)، وبسبب جهلهم هذا طلبوا أن يكون لهم إله كما للقوم آلهة ليعبدوه كما يعبدونها.

ويؤكد محمد رشيد رضا أن أبرز مظاهر الجهل عند بني إسرائيل، وأنسبه بهذا المقام، هو (جهل التوحيد وما يجب من إفْراد الرب تعالى بالعبادة من غير وساطة، ولا التقليد بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه، ولاسيما مظهر الأصنام والتماثيل لبعض المخلوقات التي اغتر الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها)(٣٣).

وكما طلب جهلة بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما للوثنيين آلهة، طلب جهال الأعراب من الرسول صلى الله عليه وآله أن يجعل لهم ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وذلك أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حنين و(كان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(٣٤)، أنها لسُنَن لتركبن سُنَنَ مَنْ كان قبلكم سُنَّةً سُنَّةً)(٣٥).

كذلك كان كفار مكة يطلبون من نبي الله ﷺ أن يعبد آلهتَهم(٣٦)، فكان الأمر الرباني للنبي ﷺ أن يرد على المشركين رداً شديداً يصفهم فيه بالجهل، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾(٣٧)، فمن جهلهم طلبوا تقليده لهم في عبادة غير الله تعالى واتباع دين آبائهم.

يقول سيد قطب: (وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبىء عن الجهل المطلق المطبق المطموس)(٣٨)، فلقد جهلوا صفات الله تعالى، وجهلوا فساد عبادة الأصنام، فعبدوها من دون الله سبحانه جهلاً وتقليداً لآبائهم، وهذا شكل خللاً في بناء شخصيتهم العقائدية.

أما الجهل بحقيقة العبادة ومدلولها ومستحقها فعمد بعضهم إلى اتّهام شريحة من المسلمين بالشرك، استناداً إلى بعض الممارسات التي لم يفهم هؤلاء التكفيريين وجهها ولم يعوا فلسفتها ولم يفقهوا مغزاها كزيارة القبور وبعض الشعائر والطقوس الدينية، فراحوا يطلقون بإخوانهم في الإسلام وشركائهم في الإيمان شتى التهم شركاً وكفراً وإلحاداً وزندقة وردّةً، مصورين هذه الزيارة عبادة(٣٩)، مستدلين بأنه في سالف الأزمان كانت العرب تعبد قبور الصالحين من قومهم، وأن هذا الأمر تطور بمرور الأزمان والأجيال، فذكر القرطبي أن الخلق جهلوا أغراض سلفهم في تلك الصور فعبدوها، يقول: (قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله تعالى عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها)(٤٠)، وهذا بطبيعته جهل من قبل الخلف، وما آل إليه أمرهم إلى عبادة تلك الصور.

أما اتهام ما عليه فرق من المسلمين بالشرك والكفر لزيارتهم القبور، فهو

جهل ووهم بأنهم يعبدونها، إذ أن الواقع يغني عن الكلام والبحث، ويكتفي الباحث هنا بما أكده الإمام أبو القاسم الخوئي وهو في مورد الرد على الجاهلين القائلين أن زيارة القبور عبادة لأصحابها، يقول: (والذي أوقع ابن تيمية في الغلط - أن لم يكن عامداً لتفريق كلمة المسلمين- هو تخيله أن الأمور المذكورة شرك، وعبادة لغيره، ولم يدرك أن هؤلاء الذين يأتون بهذه الأعمال يعتقدون توحيد الله، وأنه لا خالق ولا رازق سواه، وأن له الخلق والأمر، وإنما يقصدون بأفعالهم هذه تعظيم شعائر الله، وقد علمت أنها راجعة إلى تعظيم الله والخضوع له والتقرب إليه سبحانه، والخلوص لوجهه الكريم، وأنه ليس في ذلك أدنى شائبة للشرك، لأن الشرك - كما عرفت- أن يعبد الإنسان غير الله، والعبادة أنما تتحقق بالخضوع لشيء على أنه رب يُعْبَد، وأين هذا من تعظيم النبي الأكرم وأوصيائه الطاهرين عليهم السلام بما هو نبي وهم أوصياء، وبما أنهم عبادٌ مُكْرَمون، ولا ريب في أن المسلم لا يعبد النبي أو الوصي فضلاً على أن يعبد قبورهم)[٤١]. فمعالجة عوائق فهم العقيدة الصحيحة للمتوهم أو المتهم من أهم الوسائل التصحيحية للبناء العقائدي.

ومن مظاهر الجهل الذي يعد مانعاً من التوحيد ما حدَّثنا به القرآن الكريم من اختلاق الكفار بنين وبنات إلى الله تعالى بغير علم منهم، فنسبوا إليه الولد، فكان من جهلهم أن نسبت اليهود عزيراً إلى الله، وكان مثلهم النصارى في قولهم المسيح ابن الله، ويشبههم الكفار في قولهم الملائكة بنات الله- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقال الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤٢]، فهذا الجعل هو من الجهل وتعمد الافتراء على الله سبحانه بغير علم إذ (المخلوق لا يجوز أن يشارك خالقه في مقامه)[٤٣].

وقد وجد في البشرية قديماً وحديثاً من عِلْيَة القوم مَنْ يستخف بعقول

الناس، طالباً منهم عبادته من دون الله، وهذا من جهله بحقيقة ربه تعالى، بل ومن جهله بحقيقة البناء الإلهي للنفس البشرية، قال تعالى عن حال فرعون وقومه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٤٤).

يقول سيد قطب حول استخفاف الطغاة بالجماهير وعزلهم عن سبل العلم والمعرفة، تقليداً وتشبيهاً لما فعله فرعون فيقودونهم ذات اليمين وذات الشمال: (واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان)(٤٥).

وهذا بطبيعة الحال لا يبرّئ المستضعف دائماً، فالمحتوى الداخلي للإنسان يتمثل بركنين أساسيين لهما الدور الكبير في بناء الإنسان وهما: الفكر والإرادة، ولهذين الركنين الدور المهم والأساس في تغيير حركة الفرد والمجتمع، فـ(المحتوى الداخلي للإنسان هو القاعدة لحركة التاريخ، فالبناء الاجتماعي العلوي بكل ما يضم من علاقات وأنظمة وأفكار وتفاصيل مرتبط بهذه القاعدة، ويكون تغييره وتطوره تابعاً لتغير هذه القاعدة وتطورها، فإذا تغير الأساس تغير البناء العلوي، وإذا بقي الأساس ثابتاً بقي البناء العلوي ثابتاً)(٤٦)، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٤٧).

وهذه الآية الكريمة تدل على أن التغيير الداخلي يسهم بدور كبير في بناء

وتغيير المسيرة الجماعية للأمة، ونفض غبار الجهل والتوجيه نحو المعرفة الإلهية بعيداً عن أية ضغوطات.

٢- **الجهل بحقيقة النبوة**: جهلت الأقوام الكافرة رسالة النبوة التي بُعث بها الأنبياء، وأنه مكلف بالبلاغ وليس الإتيان بعذاب أو بمعجزات مقترحة، فأخذوا يطالبون أنبياءَهم ماليس بمقدورهم، ولاهو من خصائص نبوتهم.

فنلحظ أن القرآن الكريم ينفي العلم عمن طلبوا الآيات من أنبيائهم عليهم السلام، لا من أجل الاهتداء بل عناداً منهم ومكابرة، وشابهوا في ذلك مَنْ قبلَهم من اليهود والنصارى في الجهل بحقيقة الرسالة والنبوة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤٨].

مما يعني (أن الآيات التي يطالبون بها مأتية مبينة، ولكن لا ينتفع بها إلا قوم يوقنون بآيات الله، وأمّا هؤلاء الذين لا يعلمون، فقلوبهم محجوبة بحجاب الجهل، مئوفة بآفات العصبية والعناد، وما تغني الآيات عن قوم لا يعلمون.. ومن هنا يظهر وجه توصيفهم بعدم العلم)[٤٩]، وهو الجهل بحقيقة الرسل، وحقيقة ما أرسلوا به، فطلب مشركو مكة من النبي صلى الله عليه وآله أن يكلمهم الله كما طلب ذلك بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يروا الله سبحانه بلا حجاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٥٠].

ونتيجة لجهلهم هذا وإساءتهم (أن العقوبة أصابتهم في حين الإساءة والعجرفة إذ طمعوا فيما لم يكن لينال لهم)[٥١].

ثم تمادى هؤلاء المشركون فطلبوا رؤية الله راكبين سنن مَن كان قبلهم حذو

القذة بالقذة. ومثل ذلك طلب مشركو مكة من النبي ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾(٥٢)، وهذا غاية الظلم والطغيان الذي ينبع من الجهل بحقيقة النبوة الذي يؤدي بدوره إلى بناء خاطئ للنفس الإنسانية، إذ أرادوا أن يكلمهم الله سبحانه من دون وساطة النبي ﷺ بإملائهم (رتبة التكليم الرباني من غير توسط الرسول والملك، ولم يكتفوا بهذا الذكر الحكيم والخارق العظيم)(٥٣) ووجود النبي ﷺ بين ظهرانيهم.

ثانياً - التقليد:

ومن أهم موانع الإيمان بالعقيدة التقليد، وتتجلى أهميته في كثرة ذكره في القرآن وتكرره عند أغلب أقوام الأنبياء وأممهم(٥٤)، وحجتهم في ذلك ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾(٥٥)، وقد تمسك بهذه الحجة الداحضة خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل وقرناً تلو قرن، ولم يقتصر التقليد على أصل التوحيد والإيمان بالله، بل تعداه إلى أصول العقيدة الأخرى وسائر تفاصيلها، ومنها:

١- **التقليد في موقف الأمم من الرسل والدعاة:** وقد تجلى هذا التقليد في أمرين قوبل بهما الأنبياء هما:

أ. **شبهة بشرية الرسل:** تكاد هذه الشبهة أن تطرد عند جميع الأمم والأقوام المكذبة للرسل عليهم السلام، ظناً منهم أن الرسالة لا تنبغي إلا لملك مقرّب، والبشر أدنى من هذا المستوى، ولئِن كانت لبشر فينبغي أن تكون لرجل عظيم في المال والجاه.

وقد جاءت هذه الشبهة على لسان الأقوام في أكثر من آية قال تعالى:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٥٦)، فما كان من الأنبياء عليهم السلام في مقابل هذه الشبهة إلا الإعتراف ببشريتهم والتأكيد عليها والتسليم بها وأنهم ما هم إلا بشر مربوبون مخلوقون فقراء إلى الله ربهم الذي (ينعم عليهم بالنبوة ويثبتهم بالمعجزة)(٥٧).

يقول الرازي: (أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمنُّ الله به على من يشاء من عباده، فإذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة)(٥٨).

وقد امتدت هذه الشبهة بآثارها إلى زماننا الحاضر، فما فتيء الإنسان المعاند محتجاً بهذا التقليد، زاعماً أن الدين والنبوة والكتب السماوية ظواهر بشرية من وضع البشر، بل فئة خاصة من البشر هم طبقة الفقراء والمحرومين، فهذه الماركسية ترى أن منشأ الدين هم الضعفاء والفقراء أنفسهم، وأن الواقع السيء الذي تعيشه الطبقة المضطهدة في المجتمع الطبقي تفجر في ذهنيتها الأفكار الدينية لتستمد منه السلوة والعزاء، والدين في نظر ماركس إنعكاس لشقاء فعلي واحتجاج على هذا الشقاء(٥٩)، فإنكار إلهية النبوة وربانية الأديان ونسبتها إلى البشر ظاهرة عامة في كل الأمم.

يقول سيد قطب: (وهذا القول الذي يقوله مشركو مكة في جاهليتهم يقوله أمثالهم في كل زمان، ومنهم الذين يقولونه الآن ممن يزعمون أن الأديان من صنع البشر، وأنها تطورت وترقت بتطور البشر وترقيهم... وهذا القول يقوله- قديماً وحديثاً- من لايقدر الله حق قدره، ومن لا يعرف كرم الله وفضله، ورحمته وعدله، أنهم يقولون: أن الله لا يرسل من البشر رسولاً ولو شاء لأنزل ملائكة!)(٦٠).

كما يفند السيد الشهيد محمد باقر الصدر الرؤية الماركسية ونظريتها حول نشأة الدين بقوله: (أنه لا يمكن أن يُفسر الدين تفسيراً طبقياً، وأن يعتبر إنعكاساً عقلياً لظروف الاضطهاد التي تحيط بالطبقة المُستغلة)(٦١)، فلم تكن نشأة الدين من جراء تناقص طبقي أو من صنع مستغلين ظالمين تكريساً لاستغلالهم، أو مُستَغلين مظلومين تنفيساً لهم، لأن الإيمان بالدين سبق في تاريخ البشرية أي تناقضات من هذا القبيل(٦٢).

ب- **التكذيب والاستهزاء والطرد:** قد حكى القرآن الكريم أساليب شتى اتبعها المشركون المعاندون في صدر دعوة الحق، ومن أهمها وأكثرها اطراداً الاستهزاء والعمد إلى أسلوب السخرية والتهكّم بغية تسقيط شخصية النبي ﷺ كي لا يؤثر في أوساط الفئة الواعية، ويحاولون به تغطية ضعفهم وعجزهم أمام المنطق القوي، وتارة يأخذهم الاستغراب لدعوات الأنبياء الثورية ضد طريقة حياتهم الموبوءة، محاولة إغواء وجدانهم السارح في المتاهات كي لا يصحوا، وقد يكون الاستهزاء بسبب أن مقياسهم الخاطل ومعيارهم للقدوة والقائد فيما تعارفوا عليه في مواصفات الزعيم أو القائد أن يكون من الطبقة الثرية المترفهة، وأخيراً قبولهم لدعوة النبي ﷺ حسب تصورهم يستلزم تقويضاً لكل شهواتهم الدنيوية، وبالتالي يلجأون للاستهزاء لتبرير أغراضهم وإنكارهم وإراحة ضمائرهم(٦٣).

ووسيلة الاستهزاء مما تعارف عند هؤلاء الناس المعاندين عبر التاريخ، فالقرآن يواسي النبي ﷺ بما لقيه من قومه من الاستهزاء، بأن الأنبياء السابقين قد لقوا من قومهم ما لقيت من قومك من الاستهزاء، وهذا مايُقلد به المستكبرون أقرانهم به.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٦٤)، يقول السيد الطباطبائي: (إن البشر الأولين كالآخرين جرت عادتهم على أن لا يحترموا الرسالة الإلهية ويستهزئوا بمن أتى بها ويمضوا على إجرامهم، لتكون في ذلك تعزية للنبي ﷺ فلا يضيق صدره بما قابلوه به من الإنكار والاستهزاء)(٦٥).

ومن مظاهر الطعن بالرسول الطعن في نسبة القرآن الذي أتى به إلى الله تعالى وعزوه إليه ﷺ والطاعنون في القرآن حائرون في نسب القرآن، لا يدرون أينسبونه إلى تعليم بشر، أم إلى نفس صاحبه ﷺ، أم يجمعون بين النسبتين كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾(٦٦)، وهذا الرأي يروّجه الملحدون اليوم باسم الوحي النفسي، وهو الرأي الجاهلي القديم، فقد صوروا النبي ﷺ رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى على حواسه حتى يُخَيَّل إليه أن شخصاً يكلمه وليس الأمر كذلك، بل هو صورة أخيلته فهو إذن الجنون (حاشا لله ولرسوله)، ولما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلية تركوا كلمة الوحي النفسي وقالوا أن الذي علمه بشر، فكان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة ممسوخة منه في أقدم أثوابه، وكان غذاء هذه الأفكار المتحضرة في العصر الحديث مستمداً من فتات موائد عصور الجاهلية الأولى، فهم يضاهئون قول جهال قريش(٦٧).

ولما لم يُجْدِ التكذيب والاستهزاء نفعاً أمام المستمسكين بدينهم، الثابتين عليه، رفع أهل الكفر سقف المحاربة إلى التهديد والوعيد لرسل الله وأتباعهم بالإخراج من أوطانهم، فقال سبحانه حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾(٦٨).

هكذا هو منطق التاريخ ينبئنا أن الظالمين يلجأون إلى القوة والعنف عند

ضعف المنطق والعقيدة، ويتركون الاستدلال والحجة، فيعلّون في الأرض متجبرين، متخذين النفي والإبعاد وسيلة للخلاص السريع، (وكان هؤلاء القوم يعدّون جميع ما في الأرض ملكهم، حتى أنهم لم يمنحوا لرسلهم حقوق المواطنة، ولذلك يقولون- أرضنا - وفي الحقيقة فإن الله تعالى خلق الأرض وكل مواهبها للصالحين، وهؤلاء الجبابرة في الواقع ليس لهم أي حق فيها)(٦٩).

وكذلك نجد هذا الأسلوب في الاعتراض والامتناع عن الهداية متوارث عند الظالمين تجاه رسلهم، فالنفي والطرد من فعل الكافرين الذين تتابعوا عليه، فسلك اللاحقون سبيل السابقين، وهذا النفي والإخراج كان تهديداً من قوم شعيب لشعيب عليه السلام ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾(٧٠)، وكذلك من قوم لوط له عليه السلام ومَنْ آمن معه، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٧١)، وهكذا سائر الأنبياء إلى أن جاء زمن الحبيب محمّد ﷺ فكانت المؤامرة التي حكى الله تعالى عنها، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٧٢).

يقول ابن عاشور: (كادوا أن يخرجوك من بلدك، وذلك بأن همُّوا بأن يخرجوه كرهاً ثم صرفهم الله عن ذلك ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج مهاجراً عن غير علم منهم لأنهم ارتأوا بعد زمان أن يُقوه بينهم حتى يقتلوه)(٧٣)، وأن مخرجيه لا يلبثون بعده إلا قليلاً، كما أشارت الآية(٧٤).

فشاء الله تعالى أن تكون الهجرة بالنسبة للدعوة الإسلامية هي أعظم الأحداث الدعوية والحركية، لأن بها قامت دولة الإسلام، ووجدت قاعدته

التي حملت هذه الدعوة ابتداء، وقدمتها للعالم انتهاء، ولذلك أرّخ المسلمون بالهجرة[٧٥].

وتبقى سنة الله تعالى في أرضه إذ يعمد الجاهلون إلى إخراج المصلحين وأصحاب العقيدة الحقة من ديارهم، ظلماً وعدواناً، والرسول ﷺ ليس ببدع عما سبقه من الأنبياء والصالحين، فـ(رؤساء الكفر والضلال، وهكذا في كل زمان ومكان استكبروا عليه وعلى من آمن بدعوته، فهددوهم بإخراجهم جميعاً من قريتهم أن لم يعودوا في ملة الكفر)[٧٦]، وهذا الإخراج والطرد لا يختص بالأنبياء أو أتباع الأنبياء فهو وسيلة منع وصد عن الهدى، مورست مع أصحاب العقيدة الحقة بصورة عامة.

٢- التقليد في إنكار البعث:

الإيمان بالمعاد أمر مشترك بين سائر الأديان السماوية وهو من أصول الدين التي يتوقف عليها إنتماء المسلم للإسلام، ويشمل الإيمان بذلك أشراط الساعة ومقدمتها من تغير الظواهر الكونية، والإيمان بالبرزخ بعد الحياة الدنيا، والإيمان بالساعة، ونفخة الصور الأولى والثانية، والجنة والنار.

والإيمان يعني التصديق الذي لاشك فيه ولا شبهة، وما لم يكن كذلك فلا يكون إيماناً، ولكن هناك طوائف من الناس تنكر الآخرة، وتكفر بذلك، وتقول أن الحياة أنما هي هذه الدنيا التي نحياها، وأنه ليس معنى الموت إلا الفناء، والزوال، والانتهاء، والانعدام الذي لا حياة بعده[٧٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾[٧٨]، فهم يقولون أن هذا الكون الذي نعيش فيه أبدي و(ليس الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب)[٧٩]، وهذا كفر صريح بالآخرة، والله تعالى أبرز ضلالهم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾(٨٠)، فالآية تشير صراحة إلى أن الإيمان متكامل الأطراف، لا يقبل الإيمان بمفردة دون الأخرى، أي ببعض دون الآخر، فلا يمكن قبول مَنْ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ما لم يكتمل هذا الإيمان بجميع المعارف الأخرى ومنها الإيمان باليوم الآخر، يقول السيد الطباطبائي: (الإيمان بواحد من حقائق هذه المعارف لا يتم إلا مع الإيمان بجميعها من غير استثناء، والرد لبعضها مع الأخذ ببعض آخر كفر لو أظهر، ونفاق لو كتم وأخفي)(٨١).

وقد توعد الله تعالى بالعذاب الشديد من كفر باليوم الآخر كأسلوب من أساليب الردع والمعالجة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٨٢).

فهذه النهاية تتفق (مع الخلائق التي أبت على نفسها سعة التصور الإنساني وآثرت عليه جحر التصور الحسي! والتي أبت أن ترتفع إلى الأفق الإنساني الكريم، وأخلدت إلى الأرض، وأقامت حياتها وعاشت على أساس ذلك التصور الهابط الهزيل! لقد ارتكست هذه الخلائق حتى أهلت نفسها لهذا العذاب، الذي يناسب طبائع الكافرين بالآخرة، الذين عاشوا ذلك المستوى الهابط من الحياة! بذلك التصور الهابط الهزيل!)(٨٣).

واليوم الآخر يومٌ أخبرت به الرسل جميعاً، وهو يُدْرَك عقلاً – إن أحسن العقل التفكير–، إلا أن كثيراً من الناس قد عطلوا عقولهم وأسلموها لغيرهم إنقياداً لهم وتبعية، وبات يتذرع بأن ما جاءت به الرسل إن هو إلا أساطير الأولين، وهو ما كان فيه مصيرهم من العذاب الشديد كما أخبر القرآن الكريم بذلك.

وهذا الإفتراء والتكذيب باليوم الآخر هو تقليد ومحاكاة لمن كان قبلهم من المنكرين في كل عصر ومكان، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ۞ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(٨٤).

والباعث على إنكارهم يوم القيامة تقليدهم للآباء، فهم قالوا مثل ما قال أسلافهم ومن دان بدينهم، وكذبوا مثل ما كذب الأولون، ومعوَّل القوم في تكذيبهم البعث أنه وعد متكرر لآبائهم الأقدمين، ووجه ذكرهم الآباء - كما يقول ابن عاشور-: (دفع ما عسى أن يقول لهم قائل: أنكم تبعثون قبل أن تصيروا تراباً وعظاماً، فأعدوا الجواب بأن الوعد بالبعث لم يكن مقتصراً عليهم فيقعوا في شك باحتمال وقوعه بهم بعد موتهم وقبل فناء أجسامهم، بل ذلك وعد قديم وُعد به آباؤهم الأولون، وقد مضت أزمان وشوهدت رفاتهم في أجداثهم وما بُعث أحد منهم)(٨٥).

وقد ذكر الله تعالى أن قوم عاد ردوا على نبي الله هود عليه السلام دعوته في الإيمان بالبعث، منكرين التعذيب لهم بعد الموت، معللين ذلك بأنه خلق آباءَهم الأولين ومنهجهم وطريقتهم قال سبحانه: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾(٨٦) إلى أن يقول عنهم: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾(٨٧)، يقول الآلوسي: (ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدمونا من آباء وغيرهم بهم مقتدون)(٨٨)، فأهل عاد يقتدون بمن سبقهم في إتّباع دينهم بإنكار البعث والحساب.

والإنسان الكافر يستبعد بعثه بعد موته، فيعبر عن ذلك بسؤال استنكاري كما أخبر الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾(٨٩)، وبما (أن هذا السؤال مخفي في طبع كل إنسان في البداية بزيادة ونقيصة، وبسماع مسألة الحياة بعد الموت سترسم في ذهنه علامة الاستفهام فوراً)(٩٠)، فكان الجواب أن

الله تعالى أقام الحجة على صحة البعث بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(٩١)، وإقامة الحجة والبرهان جزء من الأسلوب العلاجي للبناء العقائدي، وفي الآية إشارة إلى الإنسان أن لا يجلس ساكتاً عند تبادر هكذا سؤال وعليه أن يُعْمِلَ عقله كما أراد الله سبحانه لتحقيق البناء العقدي.

وفي العصر الحديث أطلَّ علينا فكرٌ إلحادي لا يؤمن إلا بالمادة، فكل ما هو محسوس ومشاهد فهو الموجود، أما غير ذلك من غيب غير مُشاهَد فلا إيمان به البتة بل لا وجود له، وبناءً على ذلك فليس للكون نهاية ولا حدود، ولا يوجد يوم آخر، وهؤلاء القوم امتداد للماديين أعداء الرسل الذين آمنوا بالمادة وأنكروا البعث،ولا يمكن بطبيعة أن نقيس قوانين هذه الحياة الدنيا على نظام الحياة الآخرة فلا (تجري فيه القوانين المادية ولا الأسباب المادية، كما تجري اليوم في نظامنا الحاضر)(٩٢).

ويُلاحظ أنَ الذي يتولى إنكار البعث أيضاً هم المترفون، وهذا يتابع أيضاً فيه المترفون اللاحقون إخوانهم المترفين السابقين ويحاكونهم في ذلك، فالله تعالى يقول عن قوم سابقين: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾(٩٣).

ومن غرور المترفين المنكرين للبعث، ظَنُّهم أن الله أعطاهم في الدنيا مالاً وأولاداً، اعتقاداً منهم أن ذلك كرامة لهم من الله، فلئن رجعوا إلى يوم القيامة - على تقدير حصوله عندهم حسب اعتقادهم الفاسد - فسوف يكون لهم الحسنى، فهم يعتقدون- وهماً- أن الله سيؤتيهم يوم القيامة خيراً مما آتاهم في الدنيا- أن وجد حسب ظنهم- وآيتا سورة سبأ السابقتان تظهر أنّ هذا الأمر مكرور من الخلَف تبعاً للسلف.

وتكرر الغرور في سورتي الكهف ومريم المتتاليتين في القرآن، فقال تعالى عن رجل كان شاكاً بالمعاد غير قاطع به(٩٤): ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي

لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا﴾[٩٥]، وتحدثت سورة مريم عن العاص بن وائل[٩٦] قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٩٧]، فكلاهما أنكر اليوم الآخر، وزعم أنه لو جاء يوم القيامة لَيكونن لكلٍّ منهما خير مما أوتي في الدنيا، ونلحظ التوكيدات في الآيتين: (لأجدن) و(لأوتَين)، وهذا يدل على شدة الغرور والجهل الذي يهدم البناء الإنساني وأثر الجهل باليوم الآخر في بناء نفس الإنسان وكيانه وسلوكه.

٣- التقليد في الاحتجاج بالقدر:

بين الله سبحانه في كتابه الكريم الفهم الخاطئ للأقوام لعقيدة القدر، وذلك حينما كانوا يتعذرون بالقدر عن فعل المنكر، بعبادة غير الله، وتحريم ما أحل الله من الحرث والأنعام، وكذلك التلاعب بكيفية اللباس عند الطواف، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٩٨]، (أي على هذا الطريق سلك الذين من قبلهم فعبدوا غير الله وحرموا مالم يحرمه الله ثم إذا جاءتهم رسلهم ينهوهم عن ذلك)[٩٩]، قالوا مقولتهم المتقدمة وعلقوها على الإرادة الإلهية، وأن كل ماعملوه من عبادة غير الله تعالى، والتحليل والتحريم هو برضا الله تعالى وبأذنه!. فكان أن (كذبهم الله وأنكر عليهم، وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل الله، وجحدوا أنبياءه)[١٠٠].

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن هذا النهج قد وجد له مرتعاً ومستقراً في بعض أقبية الفكر السياسي من خلال ترويج فكرة القدر عبر تأييد البلاط الأموي لها؛ تكميماً للأفواه ومصادرة لحرية الفرد والمجتمع.

وهـذا مـا نلحظـه جليـاً في السياسـة الأمويـة وتبنيهـا القـول بـالجبر لتثبيـت سلطانها، فبعد (أن استوسقت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان استخدم عدّة وسائل لإخضاع الأمة الإسلامية إلى إرادته وإخماد أي صوت يعارض سلطته، فاعتمد منهجاً ذا خطوات خطيرة لتطبيق أطروحته ومشروعه لتبديل الإسلام بالجاهلية الأموية، ومن هذه الخطوات والأساليب صناعة المذاهب والفرق المعادية للإسلام)[١٠١].

ونلحظ تدليس هذه السياسة والتبني لفكرة الجبر عملياً أيضاً في مقولة ابن زياد للإمام علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام بعد واقعة الطف الأليمة إذ قال ابن زياد: (مَن هذا؟ فقيل: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال علي: قد كان لي أخ يسمى علي بن الحسين قتله الناس، فقال: بل الله قتله، فقال علي: الله يَتوفّى الأنفسَ حين موتها[١٠٢])[١٠٣].

ولا غرابة في هذا النوع من الخطاب، إذا ما علمنا أنّ بني أمية - على حد تعبير أحمد أمين - (كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة، لا دينياً فقط، ولكن سياسياً كذلك، لأن الجبر يخدم سياستهم، فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسّير الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء، ودولتهم بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع للقضاء والقدر)[١٠٤].

وكذلك نلحظ احتجاج الأقوام المتعاقبة على فعل المعاصي بالقدر في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[١٠٥]. يقول ابن عاشور: (أي كذب الذين من قبلهم أنبياءهم مثل ما كذبك هؤلاء، وهذا يدل على أن الذين أشركوا قصدوا بقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ تكذيب النبي صلى الله عليه وآله إذ دعاهم إلى الإقلاع عما يعتقدون بحجة أن

الله رضيه لهم وشاءه منهم مشيئة رضى، فكذلك الأمم قبلهم كذبوا رسلهم مستندين إلى هذه الشبهة فسّمى الله استدلالهم هذا تكذيباً، لأنهم ساقوه مساق التكذيب والإفحام، لا لأن مقتضاه لا يقول به الرسول ﷺ والمسلمون، فإنا نقول ذلك)[١٠٦].

ثالثاً - أثر وسوسة الشيطان في بناء عقيدة الإنسان:

في المحاورة التي عرض لها القرآن الكريم بين الله تعالى وإبليس، نلاحظ أن إبليس احتج بالقدر في تسويغ ما فعل، فقال سبحانه عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١٠٧].

كما أنّ في محاورة الإمام أمير المؤمنين للشامي - بعد منصرفهم من صفين - أبلغ دليل على بطلان الجبر وما أروع وأعظم ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في إبطال عقيدة الجبر، فهذا الشامي يقول للإمام: (يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء الله وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ ما علوتم تلعة، ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر. فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له عليه السلام: (أو تظن أنه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً؟ أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله تعالى وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها...)[١٠٨].

من هذا يتضح أن أول مَنْ وقع في شبهة الاعتقاد بالجبر هو الشيطان، فتولد لديه ومن تبعه هذا الاعتقاد الخاطىء بالقدر، ويتبع الاحتجاج بالقدر بهذه الصورة تضييع للحقوق، ففي حالات القتل مثلاً، يأتي أهل الإصلاح لأولياء

المقتول من باب القدر، وأن هذا الأمر مكتوب على قتيلكم، وذلك لأجل التخفيف عن المجرم أو العفو عنه، وبهذا تضيع الحقوق، فيزداد أهل الحق يأساً، ويزداد المجرم إجراماً.

ولم تقتصر آثار الشيطان في العقيدة وهدمها أو إعاقة بنائها على هذا المستوى، فمن أثره على عقيدة الإنسان أمره بعبادة الأصنام قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٠٩]، فهذه الأعمال رجس؛ لأن الشيطان نجس خبيث لأنه كافر والكافر نجس، والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث، وكل ما أضيف إلى الشيطان فالمراد من تلك الإضافة المبالغة في كمال قبحه[١١٠].

وبين الله تعالى أن مَنْ وقع في الشرك فقد ضل ضلالاً بعيداً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[١١١]، قد تحقق فيه هدف الشيطان وهو الإضلال، وعبر بالإضلال البعيد لبيان أن الوقوع في الشرك هو الهدف الأكبر في الدنيا، لما يترتب عليه من عدم مغفرته في الآخرة إن مات عليه، فيكون خالداً في النار مع الشيطان وهذا هدفه الأخروي، ثم قال سبحانه في الآية التي تليها مباشرة: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾[١١٢]، فكل عبادة غير عبادة الله فهي عبادة للشيطان بمعنى إتباعه لأن الإتباع والطاعة العمياء نحوٌ من أنحاء العبادة، بل مجرد الإصغاء هو طاعة وعبادة، وهذا ما عبر عنه الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)[١١٣].

وتحدثنا الآيات عن حال الشيطان، قال تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ

نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(١١٤)، يعني حظاً مقدراً معلوماً فكل ما أطيع فيه إبليس فهو نصيبه ومفروضه، وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هُم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه(١١٥).

وقد اختلفت آراء علماء النفس المسلمين في معنى الوسوسة، وأسوق هنا طرفاً من وصفهم لما له دور في تجلية كنه هذه الخطرات، فمما يورده حسن الشرقاوي: (الخاطر هو خطاب يرد على النفس، شيطاناً كان أو ملاكاً... وسبب التميز بين الخاطر راجع إلى حال النفس...إذ أن سبب غلبة الخواطر المذمومة إنشغال النفس بحظوظها وشهواتها وأهوائها فترد عليها الوساوس الشيطانية التي تحجبها عن الحقائق وتحسّن لها الأعمال والأفعال المستقبحة وتشغلها باللذات التي تطلبها...)(١١٦).

ويقول محمد خليفه: (وإنه ليجري مجرى الدم في العرق حتى يبلغ القلب فيخنس حتى يرى غفلة من الإنسان عن ربه- وما أكثر غفلات الإنسان- فيركب خواطره، ويسبح بها بين الذكريات والأحلام لترتع في لذائذ الشهوات، وتلهث المشاعر وراء الخواطر فإذا وصل الشيطان إلى ما يريد ضحك من أعماقه لأنه أضل الإنسان عن صراط الله المستقيم)(١١٧).

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى - وإن كان ترك الشيطان حراً في القيام بوساوسه -، ولكنه سبحانه من جانب آخر لم يدع الإنسان مجرداً من الدفاع عن نفسه، لأنه:

أولاً: وهبه قوة العقل التي يمكن أن توجد سّداً قوياً منيعاً في وجه الوساوس الشيطانية، خاصة إذا لقيت بناءً عقائدياً صالحاً.

ثأنياً: جعل الله تعالى الفطرة النقية وحب التكامل في نفس الإنسان عاملاً فعّالاً من عوامل السعادة.

ثالثاً: يبعث الملائكة التي تُلهم الخيرات إلى الذين يريدون أن يعيشوا بمنأى عن الوساوس الشيطانية الزالّة عن العقيدة، كما يصرح القرآن الكريم بذلك إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾(١١٨)، يقول السيد الطباطبائي: (أن المراد ولايتهم لهم بالتسديد والتأييد فإن الملائكة المسددين هم المخصوصون بأهل ولاية الله وأمّا الملائكة الحرس وموكلو الأرزاق والآجال وغيرهم،فمشتركون بين المؤمن والكافر)(١١٩).

ورابعاً: الشيطان يزين للإنسان طريق الضلالات ويُحسن له سبيل الشرك والعصيان ويخدعه بوسوسته، إلا أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، فلا سلطان له على ابن آدم لكي يجبره أو يكرهه على شئ، وغاية ما يستطيعه التزيين والإغراء.

المبحث الثاني

أسلوب حماية البناء الفطري

من أعظم الأدلة على وجود الله سبحانه الفطرة، لأنها راسخة في النفس فلا يحتاج معها الإنسان إلى الاستدلال، ولهذا يعد دليل الفطرة أصلاً لكل الأدلة الأخرى التي تثبت التوحيد، فالنفوس بفطرتها تعرف الخالق دونما آيات أو أدلة عقلية، بل أن القلوب تقر به تعالى أعظم من إقرارها بغيره من الموجودات.

والفطرة في اللغة: الابتداء والاختراع(١٢٠)، قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا(فطرتها) أي ابتدأتها(١٢١).

الفطرة في الاصطلاح: ذكر الراغب في معنى الفطرة أنها ما أودعها الله في النفوس وركز عليها من معرفة الإيمان والإقرار بالله تعالى(١٢٢)، وقال الجرجاني: هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين(١٢٣).

وقد جاءت الفطرة في بعض الروايات مرادفة للإسلام الذي يُولد عليه كل إنسان وذلك قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه...)(١٢٤) والحديث يدل على أن المولود لو ترك على فطرته الأصلية لما مال إلى الأديان الباطلة، ولكن السبب في ميله للدين الباطل خارجي وهو سعي الوالدين في ذلك(١٢٥) ولذا يلحظ أن النبي ﷺ لم يقل أو يسلمانه، فيدل على أن الإسلام هو الأصل، والخروج عنه خروج عن الأصل والفطرة.

لقد جاءت الفطرة الإنسانية على غير خلق الله تعالى جميعاً ولم يكن وجودها بـ(كن فيكون)، وإنما جاءت حاملة تشريفاً اختصها به المولى تعالى وتكريماً لم يمنحه لباقي خلقه. وذلك في قوله تعالى للملائكة حين خلق آدم عليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(١٢٦).

فجاءت الفطرة الإنسانية على أجمل صورة وأكرم تشريف، إذ نفخ من روحه سبحانه وهذا مظهر جلي من مظاهر التكريم، وعنايته تعالى بخلق الإنسان وتسويته وأخذ العهد عليه في عالم الذر هي أمور كامنة في الفطرة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١٢٧).

تباينت آراء المفسرين في فهم الآية وأخذوا فيها مناحي متعددة، إلا أن ما ينسجم مع فرضية البحث هو(أن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد(والكفاءات)، و(عهد الفطرة) والتكوين والخلق، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات، وهم نطف لا تعدو الذرات

الصغار، وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي.... كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها)[١٢٨].

والإفادة من هذا الإشهاد هو إتمام الحجة، وأن لا يقولوا بالاحتجاج بآبائهم، وأنهم اقتدوا بهم، وأنهم كانوا أطفالاً لا يعقلون، وأنهم معذبون بجريرة آبائهم المنحرفين عن الفطرة، فكان الإشهاد دافعاً لكل تلك الاحتجاجات والتعويلات، يقول الطبرسي في تفسير الآية: (إني إنما قرَّرتكم بهذا، لتواظبوا على طاعتي، وتشكروا نعمتي، ولا تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، فنشأنا على شركهم احتجاجاً بالتقليد، وتعويلاً عليه، أي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي، وأشهدتُكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم إياي.)[١٢٩].

وذلك أنه سبحانه (نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقرّرهم)[١٣٠].

ولذلك نلحظ حقيقة هذا العهد في النقوش والرسوم التي اكتشفها المنقبون وعلماء الآثار على جدران الكهوف التي سكنها الإنسان القديم قبل ألوف السنين، وأن المواد العينية في القبور والأهرامات والمعابد إلى جانب الكتابات، تؤكد كلها على أن الأقوام القدامى كانوا يمارسون طقوساً دينية معينة، بل وأنهم كانوا يعتقدون بوجود حياة أخرى يعيشها الموتى بدليل وجود الأدوات والمواد التي يحتاجها الإنسان الحي في تلك القبور والأماكن، فـ(تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى، ولا تسمح لأحدٍ أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه، ويستطيع الفرد أن يستغني عنه في علاقته بتلك الجماعة، أو فيما بينه وبين سريرته المطوية عمن

حوله، ولو كانوا من أقرب الناس إليه، ويقرر التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين)[١٣١].

ويلحظ السيد الشهيد محمد باقر الصدر أن الإنسان استطاع أن ينشىء الحضارات ويعمر الكون ويغني الحياة ويجددها بما أوتي من عقيدة وإيمان ورسالة، فالإنسان (كائن ذو عقيدة يسير عليها في حياته الدنيا، ولم يحدث في الماضي، ولن يحدث في المستقبل أيضاً أن يوجد مجتمع يمارس حياته بغير عقيدة تنظم هذه الحياة)[١٣٢].

ويؤكد السيد الصدر في موضع آخر الدور الكبير للفطرة الإنسانية وأهميتها فيما جبلت عليه من الإيمان، وأنها تقوم بوظيفتها الكبيرة، ألا وهي هداية الإنسان وكماله، ولا يتم تحقيق ذلك إلا عن طريق الدين وحده، إلا أنه من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها جميعاً، ولا تبديل لخلق الله ولا تحوير في سننه وفطرته،والدين الذي يلبي حاجات الروح ومتطلبات الإنسان هو الدين الإسلامي الحنيف،دين التوحيد الخالص الذي يقضي على التناقضات والازدواجيات التي تحصل بين الإنسان وأطراف العملية الإنسانية كلها، وأمّا الأديان الأخرى التي حرفت وشوهت على التاريخ فلا تمثل إلا انحرافاً وميلاً عن الخط الإلهي المرسوم للإنسان، ولذلك انهارت عملية الاستخلاف ومسيرته برمتها، لا تمت إلى الفطرة الإنسانية بصلة[١٣٣].

إذن فاللبنة التي أنشأ الله تعالى منها الإنسان لبنة مؤمنة موحدة بالله تعالى، ولهذا لو ترك الإنسان وحده يعيش في مكان ما لمدة زمنية فإنه سيهتدي لخالقه ويعرف وجوده سبحانه، ولأنه تعالى خلق الإنسان ويعرف ما في نفسه وفَطَرَه على معرفته، ولكن الخالق العظيم سبحانه وتعالى جعل لهذا الإنسان حدوداً لا يتجاوزها، ولابد من وساطة لمعرفة كيفية عبادته سبحانه، والعقل غير كاف وحده لمعرفة كيفية عبادته تعالى، ولهذا أرسل الله الرسل عليهم السلام ليعلموا الناس

كيفية عبادة الله تعالى على وجهها الصحيح، وما على الإنسان إلا اتباع هؤلاء الرسل المبلغين دين الله إلى البشرية جمعاء، وثَمَّ يعرّف هؤلاء الرسل بني البشر بالشرائع السماوية، كي يتم تعظيم الله تعالى على الوجه اللائق لتعظيمه وتوقيره وعبادته حق عبادته، وتنبيههم عند الغفلة.

ويؤكد هذا سيد قطب بقوله: (أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى فيحتاجون إلى التذكير والتحذير، أن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى)[١٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٣٥]، يقول السيد الطباطبائي: (أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له هو الذي يهتف به الخلقة ويهدي إليه الفطرة الإلهية التي لا تبديل لها. وذلك أنه ليس الدين إلا سنة الحياة والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد في حياته فلا غاية للإنسان يتبعها السعادة وقد هُديَ كل نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته التي هي بغية حياته بفطرته ونوع خلقته وجهز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز)[١٣٦].

وهذا التجهيز نلحظه في قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[١٣٧]. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[١٣٨]، فنلحظ هنا إشارة إلى أصلين أساسيين من الخلقة والوجود، وكل واحد منهما دليل وبرهان مستقل يوصل إلى معرفة الله تعالى[١٣٩]:

الأول: أن الله تعالى قد وهب لكل موجود ما يحتاجه، وهذا أمر في غاية الأهمية، فإذا دققنا في جميع الكائنات نباتات كانت أو حيوانات سنرى أن لكل منها انسجاما تاماً مع محيطها الذي تعيش فيه.

والثاني: مسألة هداية وإرشاد الموجودات، وقد جعلها القرآن الكريم باستعماله (ثم) في الدرجة الثانية بعد تأمين الاحتياجات.

فمن الممكن أن يمتلك الإنسان أي شيء من أسباب الحياة إلا أنه يجهل كيفية الاستفادة منها، والمهم طريقة استعمالها، وهذا هو الشيء الذي نراه في الموجودات المختلفة بوضوح، والإنسان منها لديه هذه الهداية التكوينية، إلا أنه كما كان موجوداً يمتلك عقلاً وشعوراً، فقد جعل الله سبحانه هدايته التكوينية مع هدايته التشريعية بوساطة الأنبياء متلازمة ومتزامنة، بحيث إن لم ينحرف عن ذلك الطريق، فإنه سيصل حتما إلى مقصده، فيكون بذلك مؤمناً ويرزقه الله تعالى أسباب السكينة والطمأنينة بأنه قد هداه إلى فطرته التي فطره عليها.

وبطبيعة الحال فإن هذه الهداية التكوينية لا تكون بمعزل عن الهدى الخارجي، المتمثل بالأنبياء والرسل عليهم السلام، فكان الإنسان محتاجاً إلى تكميل فطرته بالوحي الإلهي. يقول محمد رشيد رضا: (وعلى هذا الأصل بُني الدين التعليمي التشريعي،الذي هو وضع إلهي يوحيه الله إلى رسوله لئلا يضل عباده بضعف اجتهادهم في العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل، ولا يقبل البشر هذا الدين التعليمي بالإذعان والوازع النفسي إلا إذا كان الملقن لهم مؤيداً في تبليغه وتعليمه من صاحب ذلك السلطان الغيبي الأعلى، والتصرف المطلق في جميع العالم، الذي تخضع له الأسباب والسنن فيه وهو لا يخضع لها)[١٤٠] وهو الله تعالى.

وهكذا نبع الإيمان من باطن الإنسان ليعبر عن فطرته الأصيلة وتعلقه بخالقه الذي خلقه في أحسن تقويم، وآمن هذا الإنسان بوجود الله تعالى قبل وجود الفلسفات وأدلتها المتعددة على وجوده سبحانه، قال تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١٤١]، يقول السيد الطباطبائي: (وهذا برهان تام سهل التناول حتى للأفهام البسيطة، يناله الإنسان الذي يذعن بفطرته أن للعالم المشهود حقيقة وواقعية، من غير أن يكون وهماً مجرداً كما يديه السفطة والشك، ويثبت به توحيد الإلوهية والربوبية)[١٤٢].

وقد أكد أمير المؤمنين علي عليه السلام ذلك المعنى بقوله: (يا مَن دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته)[١٤٣]، ولا أوضح من الذات الإلهية في وجودها وحقيقتها لأن ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١٤٤]، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١٤٥]، و ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١٤٦].

ولأجل ترسيخ دين الفطرة في نفس الإنسان لابد من إصلاح الحياة الإنسان وتهذيبها، وأن يُعاد تكوينه من الداخل على نحو يجعله متجاوباً ومنسجماً مع فطرته وأهدافه العليا وواقعه، وينبغي أن يقام المحتوى الداخلي للإنسان على أساس دين الفطرة، كي ينطلق نحو العالم الخارجي الذي لا ينمو ولا يتطور إلا بالبناء، العقدي للإنسان، لأن العقيدة (ليس مقولة حضارية مكتسبة يمكن إعطاؤها ويمكن الاستغناء عنها، لأنها في حالة من هذا القبيل لا تكون فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا تكون خلق الله الذي لا تبديل له، بل تكون من المكاسب التي حصل عليها الإنسان من خلال تطوراته الحضارية على مر التاريخ)[١٤٧]. فالابتعاد عن البناء الفطري الصحيح للإنسان يُحْدِث تخلفاً عقدياً يؤدي إلى التخلف في شتى المجالات، فـ (من التخلف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي.... التخلف العلمي والحضاري، والاقتصادي، والحربي، والفكري، والثقافي،...)[١٤٨].

إذن فالمشكلة هي مشكلة الإنسان، الإنسان نفسه لا ما يحيط به، لأنه محور الحياة ومركزها، وأن إصلاح فطرة الإنسان وبناءها يؤدي بالتالي إلى إصلاح

وبناء كل ما يحيط به من مشكلات ومسائل أخرى.

المبحث الثالث

أسلوب الترغيب والترهيب في بناء العقيدة

يعد هذا الأسلوب منسجماً مع ما فُطر عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحب البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير. إذ يتعامل هذا الأسلوب (مع طبيعة الإنسان في أُنسه وحبه للأشياء التي تبعث في نفسه اللذة والنعيم والراحة والسرور، ويخاف ويرهب من الأشياء التي فيها خوف وألم مادي أو معنوي)[١٤٩]. ويعد أسلوب الترغيب والترهيب من أكثر الأساليب تأثيراً في مجال البناء بصورة عامة، إذ (يرى بعض المختصين أنه من أكثر أساليب بناء القيم، لكونه يتمشى مع ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعم والرفاهية وحب البقاء والرهبة من الألم والشقاء، ولذلك فالبدء بغرس القيم الإيمانية في النفوس يسهل لأسلوب الترغيب والترهيب مهمته ودوره في التأثير على النفوس)[١٥٠].

وقد شرع الإسلام عبر مصادره هذا الأسلوب بغية إيجاد الإنسان الصالح الذي يكون خليفة في الأرض يعمرها وفق مراد الله تعالى وعلى شريعته حملاً للنفس على الخير، ووقاية لها من الوقوع في الشر.

إن لهذا الأسلوب البنائي أثره الواضح في صياغة الإنسان وتنميته من خلال تحريك مكامن نفسه، وتحميه من التردي في حيل الشيطان وألاعيبه، (فاستشعار غضب الله يجب ألاّ يُنسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألاّ تُنسينا حكمته)[١٥١].

وقد عُرِّف الترغيب: بأنه (وعد يصحبه تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكَّدة، خيرة، خالصة من كل الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح

أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله تعالى)[١٥٢]. ونلحظ على هذا التعريف مايأتي:

١- لفظ (وعد) عام فيه الوعد من الله ومن غيره، لذلك لابد من تقييد الوعد بأنه من الله تعالى، ولاسيما وأننا نتحدث عن الترغيب في القرآن الكريم.

٢- أن التعريف اقتصر على المصلحة واللذة والمتعة الآجلة فقط، وهذا يقتضي أن تكون المصلحة واللذة والمتعة في الآخرة، ومن المعلوم أن الله تعالى رغب في القرآن الكريم بمصالح ولذات ومتع عاجلة.

ومن الأمور العاجلة التي رغب القرآن الكريم فيها في الدنيا:

١- **الحياة الطيبة**، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٥٣]، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: (القنوع)[١٥٤]، فـ(في الدنيا يعيش – الإنسان – عيشاً طيباً، فإن كان موسراً فظاهر، وإن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة.....)[١٥٥]، والقناعة تتحقق بالقليل.

٢- **الأمن والهداية في الدنيا**، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[١٥٦] فالأمن في هذه الآية عام (يشمل الأمن من عقاب الله، والأمن من حوادث المجتمع المؤلمة، والأمن من الحروب والمفاسد، والجرائم)[١٥٧] في الدنيا.

٣- **حلول الخيرات والبركات**، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٥٨] فهذه البركات واضحة الدلالة في الترغيب بالأمور الدنيوية فـ(البركات أنواع الخير

الكثير ربما يبتلى الإنسان بفقده كالأمن والرخاء والصحة والمال والأولاد وغير ذلك)[١٥٩]. فهذه الأمور السالفة هي من الأمور العاجلة في الجزاء، وبعضها مشترك بين الدنيا والآخرة، وبهذا يمكن القول في تعريف الترغيب: هو وعدٌ من الله تعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء، طاعةً لله تعالى.

ثانياً: الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله تعالى بها، أو تهديد من الله تعالى يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[١٦٠]، وهو يشمل الدنيا والآخرة كما سوف يتضح.

وتكمن أهمية هذا الأسلوب في أنه لا يمكن أن يتحقق البناء العقدي للإنسان ما لم يعرف الإنسان أن ثمة نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله أو سلوكه، فإن عَمِلَ خيراً نال السرور، وأن عمل شراً نال الألم والمرارة. ويقرر سيد قطب أن أسلوب القرآن المجيد: (يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب، الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك، وما تحمله للبشر من خير وصلاح ونماء... والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة، بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي، ويسلكون طريق الطواغيت حيث يسلمونهم في الآخرة إلى جهنم)[١٦١].

ومما يزيد من تأثير الترغيب والترهيب هو وجود عنصري الخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه. والنفس الإنسانية تتوازن بالخوف والرجاء والأمل فتزداد سرعة توجهها نحو الحق،

فالخوف بلا رجاء يؤدي إلى اليأس والقنوط، والرجاء بلا خوف يؤدي إلى التباطؤ والكسل والتراخي.

فالنفس الواحدة تقوى تارةً وتضعف أخرى نتيجة لتعرضها لظروف متنوعة. فالترغيب والترهيب أسلوبان قرآنيان، وهما دافعان لعمل الخير وترك الشر، وفي مجال الترغيب نلحظ أن القرآن الكريم رغَّب في الاعتقاد الصحيح، كما في الآيات التالية:

أولاً: الهداية والثبات في الدنيا والآخرة، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١٦٢). فالإنسان صاحب العقيدة الصحيحة (يردُّ كل شيء إلى الله، ويعتقد أن كل ما يصيبه من خير ومن شر فهو بإذن الله، وهي حقيقة لا يكون إيمان بغيرها، فهي أساس جميع المشاعر الإيمانية عند مواجهة الحياة بأحداثها خيرها وشرها)(١٦٣)، وبناءً على هذا الإيمان فإن الإنسان المؤمن الذي اطمأنت نفسه بالإيمان لا يجزع ولا يضجر من وقوع المصائب، بل يلزم الثبات والصبر عند حلولها، وهذا ترغيب للإنسان على هذه العقيدة لما تضفيه عليه من الثبات والهداية، وذلك (أن المؤمن مرتاض بالأخلاق الإسلامية متبع لوصايا الله تعالى فهو مجاف لفاسد الأخلاق من الجزع والهلع يتلقى ما يصيبه بالصبر والتفكر في أن الحياة لا تخلو من عوارض مؤلمة أو مكدرة)(١٦٤).

وإذا كنا لا نرى صبراً وثباتاً من أغلب الناس على البلاء، فذلك يعود إلى الإنسان نفسه لا إلى العقيدة الإسلامية، ونلتمس تعليل ذلك في جميل ما قاله الإمام الحسين بن علي عليه السلام: (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديّانون)(١٦٥)، فالإنسان

بابتعاده عن العقيدة وسوء فهمه لها جعله متزلزل البناء مكشوف السريرة في البلاء، ومحروماً من نيل الثبات بما وعد القرآن المجيد به.

ثانياً: تحصيل الأجر العظيم: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٦٦]، والقرآن الكريم يرغب الإنسان بأن الإيمان والتقوى يورثان الإنسان عند الله تعالى أجراً عظيماً، وأن قيمة الإنسان تتضح من خلال العقيدة وتتجلى بالمواقف العملية والسلوكية، وليس عن أي طريق آخر، فـ(على المؤمنين المخلصين أن يؤمنوا بالله وحكمته وقضائه ويقفوا عندهما وأن يؤمنوا برسله ويصدقوهم ويطيعوهم. فإذا فعلوا ذلك واتقوا الله وراقبوه في أعمالهم استحقوا الأجر العظيم عنده تعالى)[١٦٧].

ثالثاً: المؤازرة والقوة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[١٦٨]، فقوة العقيدة تستلزم مِنْ الإنسان دائماً الاعتقاد الجازم بأن الله وحده صاحب القوة الحقيقية، فمَنْ كان الله معهم وفي صفهم كانوا أقوياء بما (تفضّل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو، وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع إصابة النفع الجليل)[١٦٩]، ونلحظ في هذا ترغيباً على التمسك بهذه العقيدة؛ لأن الله تعالى جعلها مصدراً من مصادر القوة، بل هي أعظم مصادر القوة التي تجعل الإنسان لا يخشى أحداً من الناس جميعاً.

وسرعان ما تتضح نتيجة ذلك وثمرته في قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[١٧٠]، فكان أن تحقق النصر والمؤازرة الربانية على أعدائهم، وذلك أنهم كانوا بجنب الله تعالى من خلال

التمسك بالعقيدة الإسلامية، وأن الذين ضعف إيمانهم حُرِموا هذه المؤازرة والقوة و(فَوَّتوا على أنفسهم أمراً عظيماً لا يكتنه كنهه وهم أحقاء بأن يتحسروا عليه تحسراً ليس بعده تحسر)[١٧١].

رابعاً: الحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٧٢]، فالحياة الطيبة الموعودة ناتجة عن العمل الذي ينبوعه العقيدة الإسلامية، (فالمقياس هو الأعمال الصالحة الناتجة عن الإيمان بلا قيد أو شرط من حيث السن أو الجنس أو المكانة الاجتماعية أو ما شابه ذلك في هذا الأمر، والحياة الطيبة في هذه الدنيا هي الناتج الطبيعي للعمل الصالح الناتج من الإيمان، أي أن المجتمع البشري سيعيش حينها حياة هادئة مطمئنة ملؤها الرّفاه والسلم والمحبة والتعاون، بل وكل ما يربط المجتمع من المفاهيم الإنسانية، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظلم والطغيان وعبادة الأهواء والأنانية التي تملأ الدنيا ظلاماً وظلامات)[١٧٣] فأي عقيدة تضمن حياة سعيدة كهذه للإنسان إذا ما تمسك بها ورغب إليها!!.

خامساً: الرفعة والعلو في الدنيا والآخرة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١٧٤] فالإنسان صاحب العقيدة يرفعه الله تعالى على غير المؤمن في الدنيا والآخرة، وهذا وعد من الله تعالى للإنسان المؤمن فـ(الإيمان الذي يدفع إلى فسحة الصدر طاعة الأمر، والعلم الذي يهذب القلب فيتسع ويطيع يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات)[١٧٥]. وهذا تكريم من الله سبحانه.

سادساً: الاستخلاف والتمكين في الأرض والأمن: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٧٦)، جاءت في هذه الآية مؤكدات عدة كالقسم المحذوف وتقديره واقسم ليستخلفنهم، ثم اللام الداخلة على جواب القسم ثم نون التوكيد الثقيلة الملحقة بالفعل ثم تكرار هذه المؤكدات مع الجمل التالية.. ثم الوعد بتكفل الله أمر الكافرين.. لأن المقام يقتضي هذه المؤكدات لأهمية الوعد وتمكين الثقة به في النفوس ويزيل عنها الخوف ترغيباً لها في الإيمان وتأليفاً للقلوب(١٧٧).

ويرى السيد محمد باقر الصدر أن الله تعالى شرَّف الإنسان بالخلافة على الأرض وبها تميز عن باقي المخلوقات وبها استحق أن تسجد له الملائكة، وتدين له بالطاعة قوى الكون المنظور وغير المنظور كلها.(١٧٨) وأن أية عملية بناء وارتقاء من دون عقيدة يؤمن بها الإنسان المستخلَف لا قوام لها ولا استمرارية، (فالخلافة إذن حركة دائبة نحو قيم الخير والعدل والقوة، وهي حركة لا توقف فيها لأنها متجهة نحو المطلق، وأي هدف آخر سوى المطلق تبارك وتعالى سوف يكون هدفاً محدوداً وبالتالي سوف يجمد الحركة ويوقف عملية النمو في خلافة الإنسان)(١٧٩)، وبالتالي على الإنسان التوجه إلى الله سبحانه بإيمان خالص وسوف يؤدي ذلك إلى استخلافه في الأرض وبسط يده عليها كرامةً له وتشريفاً.

سابعاً: البشرى بدخول الجنة والخلود فيها: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٨٠)، وضّحت كثير من

الآيات القرآنية أن عاقبة الإنسان الذي يؤمن بالعقيدة الإسلامية هي دخول الجنة التي ادّخرها الله للمؤمنين.

وترغيب ما بعده ترغيب إذا ما عرف الإنسان ماهية هذه الجنة المطهرة من الأكدار والهموم والمكاره الخُلقية، نعيمها دائم غير منقطع (لأنه لو لم يجب دوامه لجوزوا انقطاعه فكان خوف الانقطاع ينغّص عليهم تلك النعمة؛ لأن النعمة كلما كانت أعظم كان خوف انقطاعها أعظم وقعاً في القلب)[١٨١]، وبالتالي كانت صفات الجنة ونعيمها دائماً خالداً للمؤمنين.

فهذه الديمومة تشد رغبة الإنسان إلى هذه الجنة لما تشعره بأن هذا النعيم نعيم لا نفادَ له، فالإنسان إذا لم يُحْرِز الديمومة - وإن كان منعَّماً - كان مغتماً قلقاً، فيكون كل شيء في الجنة من متع وطعام وشراب، ولذات، وأشجار وأغصان، وزروع، وسهول وقصور دائماً لا ينتهي ولا يُفنى، بل في تجدد دائم، فالأنهار دائمة الجريان، والطعام دائم الخضرة والوجود واللذة والطعم، والسهول خضرة نضرة، فنعَمُ الآخرة خير من نعم الدنيا، لأن نعم الدنيا مشوبة بالمضرة، ونعم الآخرة خالية عن شوب المضار، وأيضاً فنعم الدنيا منقطعة لا محالة.

وهذا الترغيب الإلهي بصورة عامة للإنسان والوعود الحقيقية هي نوع من أنواع توثيق العقيدة في نفس الإنسان، وبنائها بناءً لا يهتز، وقد أورد القرآن الكريم عدة اعترافات صريحة من قِبل بعض خلقه بصدق هذا الوعد، من ذلك ما أخبر به عن اعتراف إبليس في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[١٨٢]، أي (أن الله تعالى وعدكم وعده الذي لا يُخلف)[١٨٣].

ومشهد آخر لحقيقة الوعد الإلهي قول أهل الجنة عند دخولها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ

﴿لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[١٨٤]، وهذا (تحقق عيني للوعد الإلهي)[١٨٥].

ثانياً: أسلوب الترهيب (الوعيد): وردت آيات الوعيد بعذاب قاسٍ في الآخرة أو في الدنيا والآخرة معاً لمن انحرف عن العقيدة الحقة، واتبع الشيطان الذي سول له الكفر والشرك والنفاق، وقد رهب الله سبحانه وتعالى من هذه الجرائم، ورتب عليها عقوبات زاجرة، حتى تكون مانعة للإنسان من الوقوع فيها، وسنلحظ أسلوب الترهيب ضد هذا الانحراف العقدي، يسير جنباً إلى جنب مع أسلوب الترغيب، ويقترن به ولا يكاد ينفصل عنه في المنظور القرآني، ومن مظاهر هذا الأسلوب:

أولاً: وصف الشرك بأنه ظلم عظيم، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١٨٦].

نلحظ أن أول ما ابتدأ به الوالد في نصح ولده هو بيان الوجه المظلم للإشراك، وهي دعوة إلى إخلاص العقيدة وتصحيحها، إذ أن بناء الجوهر ينعكس على المظهر، فكان أول الإبتداء هو بناء الأساس والترهيب من هذا الظلام. ففي الآية الكريمة (ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادىء الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل، فكان قوله (**لا تشرك بالله**) يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته)[١٨٧].

والظلم يشمل أيضاً عمل المعاصي من الكبائر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[١٨٨]، فكلمة (مُحسنٌ) جاءت هنا بمعنى

المؤمن المطيع لله تعالى، وهو الأنسب لها في هذا السياق، إذ لا يمكن أن يَتَصَوَّر محسن إلا بجانب حُسن الإيمان، وجاءت معاني الكفر والانحراف عن العقيدة في كلمة (وظالمٌ لنفسه)(١٨٩)، فالظلم لاصق بالكفر وارتكاب الذنوب، فوصف الإنسان بالظالم بكل ما تحمل هذه المفردة من معانٍ تحفز الإنسان لإعادة النظر في فكره وعقيدته ومنهجه.

ثانياً: الشرك محبط لجميع الأعمال، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١٩٠)، وما يلفت النظر في هذه الآية أن القرآن: (يبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين، وهم (صلوات الله عليهم) لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبدا، ولكن التحذير هنا ينبِّه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون)(١٩١). فالشرك هو النار التي تحرق شجرة أعمال الإنسان، وهو الصاعقة التي تهلك كل ما جمعه الإنسان خلال مدة حياته، فهذا الاعتقاد المنحرف يأتي على عمل الإنسان حبطاً وإفساداً فيذره هباءً منثورا، حتى وإن كانت هذه الأعمال أعمال الأنبياء والمرسلين، فأي محظور شدد الله عليه، وأي عاقبة سوداء تصفر اليدين تلك التي يؤول إليها الإشراك. وتكمن رهبة الإشراك أيضاً في النص القرآني في أن الكلام موجه إلى الأنبياء، وإن كان (الهدف هو اطلاع الجميع على خطر الشرك، فعندما يخاطب الباري تعالى أنبياءه العظام بهذه اللهجة الشديدة، فعلى الأمة أن تحسب حسابها، هذا الأسلوب من قبيل ما نص عليه المثل المعروف: (إياك أعني واسمعي ياجارة))(١٩٢).

ثالثاً: الجنة محرَّمة على المشرك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(١٩٣)، تصرح الآية الكريمة بأن الإنسان المشرك بالله تعالى لا يدخل الجنة، وهذا بطبيعة الحال وعيد من الله سبحانه لمتحلي الشرك بأية صورة من صوره، وأن الجنة محرَّمة عليهم، وإن كان منطوق الآية في النصارى الذين ابتدعوا نظرية الاتحاد والحلول(١٩٤)، فجعلوا (الله اللاّ محدود من جميع الجهات، متحداً مع مخلوق محدود من جميع الجهات، وأن يصفوا الخالق بصفات المخلوق)(١٩٥)، فهذا لا يمنع أن الأمر عام في كون الجنة محرمة على كل مرتكب لهذه الجريمة، وأن النار هي المأوى، ولعل في التعبير بـ(حرّم) مزيداً من التأكيد على منعهم من دخولها وسداً لجميع احتمالات نجاتهم.

رابعاً: لا مغفرة لمَن مات على الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(١٩٦)، إن مغفرة الله تعالى تكون لسائر المعاصي والذنوب التي دون الشرك، فالشفاعة لمن جعل له الشفاعة من الأنبياء والأولياء والملائكة والأعمال الصالحة، فإذا كان هناك شرك فلا تنفع آنذاك شفاعة شافع كما اقتضت حكمة الله تعالى، يقول السيد الطباطبائي: (فإنكم إن لم تؤمنوا به كنتم بذلك مشركين، والله لا يغفر أن يُشرك به فيحل عليكم غضبه وعقوبته فيطمس وجوهكم بردها على أدبارها أو بلعنكم، فنتيجة عدم المغفرة وهذه تَرَتُّب آثار الشرك الدنيوية من طمس أو لعن عليه)(١٩٧)، وكل هذا محق في الحياة الدنيا وعذاب أليم في الآخرة لانعدام تحقق المغفرة جراء الشرك بالله تعالى وفي هذا كله تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه.

خامساً: براءة الله ورسوله ﷺ من المشركين: قال تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١٩٨)، وبراءة: هي العنوان السياسي لسورة التوبة، سُميت بهذا الاسم العظيم لأن الله تعالى بدأ السورة بإعلان سياسي شديد اللهجة، أمر فيه بقطع العلاقات مع المشركين، ليضفي مهابة على افتتاحية السورة، فشدة القسوة من شدة العبارة واللهجة، ليستشعر المخاطب بخطورة الإعلان، إذ أن الولاء لله تعالى والبراءة من الكفر وأهله تجعل المشرك ينخلع من حياته تماماً، بكل الأبعاد الكفرية، ويلحق بركب الإيمان بكل الأبعاد الإيمانية، ولذا كان إعلان براءة الله من المشركين ظاهراً وعلى الملأ وفي أعظم محفل في الدنيا؛ ليدرك المشركون خطورة شركهم، لذلك حمل الإعلان أبو بكر، ثم كان التأكيد على الإمام علي عليه السلام من دون سواه(١٩٩) ليعلم الناس أن كفرهم مكروه منبوذ مخالف لفطرة الله تعالى.

ويترتب على هذا البراء أيضاً الإلتفات إلى المشركين في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢٠٠)، وحتى الإمهال في الآية لغرض التوبة، هو تقريع وترهيب للمسارعة إليها، للنجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وعند الإصرار فإنكم لا تعجزون الله تعالى (عن تعذيبكم، ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه في الدنيا، وفي هذا إعلام بأن الإمهال ليس بعجز، وإنما هو لإظهار الحجة والمصلحة، ثم أوعدهم بعذاب الآخرة)(٢٠١).

سادساً: نجاسة المشرك: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾(٢٠٢)، والنجس في اللغة هو نَجِسَ الشيء نجساً من نجس، إذا كان قذراً غير نظيف(٢٠٣).

والنجس والنجاسة شرعاً: قذارةٌ خاصةٌ في أشياء مخصوصة، فكل جسم خُلّيَ عن تلك القذارة في نظر الشارع فهو طاهر نظيف(٢٠٤).

قال المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ): (أن المشركين أنجاس عينيةً لا حكمية، وهو مذهب أصحابنا وبه قال ابن عباس، قال: (أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير))(٢٠٥).

وقد ذهب الشيخ باقر الإيرواني إلى أن المراد بالنجاسة في الآية هو (النجاسة المعنوية المتمثّلة في الكفر التي لا تتناسب مع المسجد المعَد لعبادة الله سبحانه)(٢٠٦).

وعلى كل حال نلحظ أن سبب هذه التسمية يعود إلى فساد عقيدتهم والإشراك بالله تعالى، فكان خبث اعتقادهم وبالتالي أقوالهم وأفعالهم، فأي تنفير وتغليظ أعظم من هذا الوصف القرآني للمشرك.

سابعاً: المشرك مُباحُ الدَّم: قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(٢٠٧) بعد أن تحقق البراء منهم (رفع الاحترام عن نفوسهم بإهدار الدماء فلا مانع من أي نازلة نزلت بهم، وفي قوله: (حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) تعميم للحكم فلا مانع حاجب عن وجوب قتلهم حيثما وجدوا في حِلٍّ أو حَرَم، بل ولو ظفر بهم في الشهر الحرام - بناء على تعميم (حَيْثُ) للزمان والمكان كليهما- فيجب على المسلمين كائنين من كانوا إذا ظفروا بهم أن

يقتلوهم، كان ذلك في الحِلِّ أو الحرم في الشهر الحرام أو غيره)[٢٠٨].

والتضييق على المشركين من حيث الحبس والمنع من الخروج[٢٠٩]، والتربص بهم، قال تعالى: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، يقول الشيخ الطبرسي: (أي بكل طريق وبكل مكان تظنون أنهم يمرون فيه، وضيقوا المسالك عليهم لتتمكنوا من أخذهم، وقوله (لَهُمْ) معناه: لقتلهم وأسرهم)[٢١٠].

وهذا الإجراء الإسلامي القرآني ليس اعتباطياً أو مزاجياً، أو بعيداً عن الإنسانية، أو مخالفاً لحرية الاعتقاد، بل هو منسجم مع حرية العقيدة، فالمشرك مانع كؤود أمام هذه الحرية وما ينشره من فساد اعتقاد ومحاربة السماء، أما أهل الكتاب فالقرآن الكريم له منهم موقف آخر يختلف عن موقفه من المشركين[٢١١].

فعلى الإنسان - إذا ما علم حال الشرك - أن يتحرر من جميع مظاهره، وأن يقلع عنه، فالشرك كما تقدم من ترهيب القرآن المجيد فيه - مستوجب لعدم المغفرة والشفاعة، وهدر الدم، وبراءة الله ورسوله ﷺ، والعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾[٢١٢].

ثامناً: الترهيب بضنك الحياة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[٢١٣].

فضيق الحياة ينشأ في الغالب من النقائص المعنوية، واليأس من فضل الله تعالى وتكذيبهم بالخلف من الله وسوء ظن به تعالى، وبالتالي اضطراب وقلق من المستقبل والعلاقة المفرطة بالمادة، بينما نجد أن الإنسان الذي يؤمن بالله -

وتعلق قلبه بذاته المقدسة - يعيش بعيداً عن كل هذه الاضطرابات، وفي مأمن منها(٢١٤).

لقد كانت من منهجية بناء العقيدة الإسلامية التحذير من الكفر وكشف مخاطره ومهالكه وبيان صوره ليحذر الإنسان المسلم، ويجتنب الوقوع فيه، وفي سبيل ذلك عمل القرآن الكريم على التشنيع بأهله متوعداً بالحياة الضنكة في الدنيا والعذاب الأليم الذي لا ينقطع والخسران المبين في الآخرة لمن مات وهو على الكفر.

وهذا ما يؤكده أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(٢١٥)، هذا على افتراض قدرتهم على الفداء، وأنى لهم ذلك، فالإنسان الذي (يعتقد الكفر وإن أظهر الإيمان لا ينفعه الإنفاق، بمعنى: أنه لا يوجب له الثواب)(٢١٦).

تاسعاً: الترهيب بوصف العذاب الذي أعده الله للكافرين في الآخرة: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾(٢١٧).

فنلحظ أن القرآن الكريم أضاف النار إلى الله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ للتخويف والترهيب، وقد وصفها بأنها موقدة بهذه الصيغة الدالة على الاستمرار فوقودها مستمر، وهي تحرق الأفئدة، والأفئدة (في القرآن مبدأ الشعور والفكر من الإنسان وهو النفس الإنسانية)(٢١٨)، لذلك جاء في وصف شدة العذاب أنه يصل إليها.

ويبدو أن سبب ذكرها هنا من دون سائر جوارح الإنسان هو (لأنها موطن

الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة، ومعنى اطّلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها)[٢١٩].

إذن فالإنسان لا يتحقق بناؤه إلا إذا علم ما توعد الله تعالى به المشركين، ليعود إلى جادة الحق والتوحيد وفق ما يريد الله سبحانه من الاعتقاد الصحيح.

ففقدان العقيدة الراسخة من العوامل التي أدت إلى كثرة الأمراض والأزمات النفسية، فالعقيدة والعمل بها هما جوهر الحياة الروحية، وعقيدة التوحيد لابد منها للإنسان، فهي حاجة ضرورية من حاجات النفس وهي عقيدة ايجابية فاعلة، وهي عبارة عن (إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد)[٢٢٠]، كما أنها منهج حياة شامل لكل تفاصيل الحياة يجمع جزئياتها بوشائج الإيمان.

وتجدر الإشارة إلى أن لأسلوب الترغيب والترهيب في المنظور القرآني ميزات بصورة عامة، ومنها:

١- إنهما يتواليان غالباً في القرآن الكريم إلا ما ندر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢٢١].

٢- يستند إلى رصيد من الإيمان الذي يفترض وجوده عند الإنسان، وكلما كان هذا الرصيد أكبر كلما كان تأثير الترغيب والترهيب أقوى وأطول مدة.

٣- لا يخاطبان العقل فقط وإنما أيضاً يناشدان الروح، ويلمسان الوجدان، فيدخلان إلى النفس من منافذها.

٤- استعمالهما يتم مصحوباً بالتوضيح والربط بين الفعل وقواعد السلوك، والإقناع القائم على البرهان، وقد يكون موجهاً لأصحاب البصيرة مع

دعوة للتدبر، والتفكر، والتعقل، والتذكر.

٥- والترغيب والترهيب يسهلان تكوين صورة ذهنية معبرة بأساليب فنية مؤثرة عند الإنسان، فيحقق بذلك التفاعل.

أن العلاقة بين العقيدة والإنسان علاقة عميقة راسخة، يؤدي انفصالهما إلى تعطيل لمهامها، كما أن الفصل بينهما فصل للروح عن الجسد، فعقيدة من دون ترجمة سلوكية لن تبرح حدود الفكر والنظر وإنسان بلا عقيدة سير بلا دليل.

والعقيدة دعوة للالتزام بقيم الدين وإرشاداته المتكررة تحمل هذه القيم لتغرسها في النفوس، فتصبح نتاجاً لعملية البناء، فالعقيدة هي أبرز أولويات أسلوب الترغيب والترهيب إذ يُبنى عليه علاقة الإنسان بخالقه، مما يترتب على صحتها علاقات صحيحة في سائر المجالات(٢٢٢).

فيعمل الاطلاع على هذا الأسلوب إلى ترسيخ البناء العقدي لتصحيح مسار الإنسان وردّه إلى سواء السبيل، لأن سلامة هذا البناء هي سلامة الجوانب الأخرى.

يقول جوادي آملي: (يجعل هذا الاطّلاع الإنسان قريباً من الطاعة بعيداً عن المعصية، وبالنتيجة شموله بألطاف الله ورحمته)(٢٢٣)، فهذا الأسلوب لازم حتى بالنسبة للذين لم يظهر عليهم عصيان ليقيهم من الانحراف، ولبيان المفاسد الخطيرة عند الابتعاد عن العقيدة الإسلامية وتأكيد لما هم عليه من الصلاح.

المبحث الرابع

أسلوب النظر إلى الآيات الكونية

المتأمل في القرآن الكريم وبخاصة في المدة المكية يجد أنه لفت نظر الإنسان

إلى الكون وما فيه من آيات عجيبة تدل على قدرة الخالق سبحانه، وأنه ساق هذه الآيات الكونية ليجول الإنسان ببصره وعقله ليدرك من خلالها أن لها رباً أوجدها ودبر أمرها، وأن السماوات والأرض ما خلقهما إلا بالحق، وأن الله تعالى سخر ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم – وما أوجد على الأرض – من بحار وأنهار وجبال وأشجار وغير ذلك –، كلّه للإنسان، وأعطاه العقل ليهتدي به إلى حكمة الباري، ولهذا كان الإكثار من ذكر العلم والفكر والعقل في القرآن الكريم ظاهرة تستلفت النظر بشكل بارز، ولتُعزز العقيدة وتسمو ببنائها في الإنسان. يقول سيد قطب: (أن من معجزات هذا الكتاب أنه يربط كل مشاهد هذا الكون وكل خلجات النفس إلى عقيدة التوحيد، ويحول كل ومضة في صفحة الكون أو في ضمير الإنسان إلى دليل إيحاء، وهكذا يستحيل الكون بكل ما فيه وبكل من فيه مَعْرَضاً لآيات الله تبدع فيه القدرة وتتجلى آثارها في كل مشهد فيه ومنظر، وفي كل صورة فيه وظل...)(٢٢٤).

فمن الآيات الكونية (ما يشير إلى سننه تعالى وطريقته في إيجاد المخلوقات وفي تدبير أمرها ومنها ما يشير إلى أنواع المخلوقات ودلالاتها دون وصفها أو يصفها من حيث التكوين والتخصيص بالصفات ثم الهداية إلى غاياتها المحددة التي خُلقت من أجلها، وهذا النوع هو غالب الآيات الكونية)(٢٢٥).

إذن فمرامي الآيات الكونية أبعد من التأصيل العلمي، كونها جاءت لترسيخ الإيمان من خلال السياق العلمي الذي تتبناه معظم العقول البشرية، لأنه من باب الإقناع الحسي والتجريبي الدامغ في الحياة الواقعية للإنسان، وقد مثّلت هذه الآيات مكامن رصدية للظواهر الكونية في آي القرآن الكريم.

فالكون هو أحد عناصر منظومة الفكر الإسلامي، ويراد به ما نراه من حولنا من أرض وسماء وشمس وقمر ونجوم، وسائر الظواهر الطبيعية،

والكون شاهد على وجود الخالق المبدع، ووحدانيته وقدرته، وهو مسخّرٌ للإنسان كي يستفيد منه في مسيرة الحياة، يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (أن الإمعان في خلق السموات والأرض، والمتأمل في اختلاف الليل والنهار كل ذلك مما يملأ النفس إيماناً ووثوقاً بالله)(٢٢٦).

ويقول الدكتور مارين ستانلي كونجدن- عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية:- (إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار آيات الله وعظمته)(٢٢٧).

ومن جملة الآيات التي تُرسّخ العقيدة في النفوس، وتهديها سواء السبيل من خلال النظر في هذا الكون، قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢٢٨).

فهذه الآية الداعية إلى النظر للكون إعجازية في ديمومتها الدالة على عدم نفاد ما خلق الله تعالى، وفعاليتها في كل عصر فـ(في عصرنا هذا يمكن أن تبين هذه الآيات للعلماء معنى أعمق وأدق وهو أن يمضوا ويلاحظوا الموجودات الحية الأولى التي هي في أعماق البحار على شكل فسائل ونباتات وغيرها، وفي قلب الجبال، وبين طبقات الأرض، ويطلعوا على جانب من أسرار بداية الحياة على وجه الأرض، ويدركوا عظمة الله وقدرته، وليعلموا أنه قادر على إعادة الحياة أيضاً)(٢٢٩).

ومن ثَمَّ فإننا بالتأمل في هذه الآيات نرى كيف يبني القرآن المجيد العقيدة في قلب الإنسان من خلال مخاطبته بأحداث ومشاهدات حية يلمسها الإنسان ويعيشها يوماً بعد يوم ليصل به إلى حقيقة وجود الله تعالى وأنه خالق كل

شي، فيقول سبحانه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۞ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٣٠].

إن الاستدلال العلمي بخلقه تعالى يجعل الإيمان أكثر ثباتاً إذ أن (الإيمان الصحيح السليم هو الذي يكون نتيجة للبحث والدراسة والبراهين العلمية القاطعة، وقد نبّه القرآن إلى البحث والتفكير والاعتماد على العلم في عدد من آياته)[٢٣١].

على سبيل المثال أورد ابن منده(ت٣٩٥هـ) اسحاق بن يحيى في كتابه (التوحيد) فصولاً كثيرة ضمنها عدداً كبيراً من الآيات والأحاديث النبوية وأقوال العلماء للدلالة على وحدانية الله تعالى بدليل خلق السموات والأرض وما فيها، وخلق الإنسان وانتقاله في أطواره المختلفة[٢٣٢].

وألف باحث اسمه محمد بن أحمد الإسكندراني في سنة(١٢٩٧هـ) كتاباً سماه: (كشف الأسرار النورانية القرآنية في ما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجوهرية المعدنية)[٢٣٣]، ثم ألف عبد الله باشا فكري رسالة قارن فيها بعض مباحث الهيئة بالوارد من النص القرآني في سنة(١٣١٥هـ)[٢٣٤]، ثم جاء كتاب عبد الرحمن الكواكبي(ت١٩٠٢م) (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، وهو عبارة عن مجموعة مقالات وصف القرآن فيها بأنه (شمس العلوم وكنز الحكم)[٢٣٥]، إن أهم ما يستفاد من تنظيرات الكواكبي ما كشف عنه من ثغرة في التفكير العلمي عند المفسرين، فقال: (إن السر في إحجام العلماء عن تفسير الآيات الكونية والأخلاقية في القرآن أنهم كانوا يخافون مخالفة رأي بعض السلف القاصرين في العلم، فيُكفَّرون ويُقتَلون)[٢٣٦].

ويؤكد أهمية الآيات الكونية في تعزيز الإيمان بالعقيدة السيد هاشم معروف الحسني بقوله: (إن النظام والقانون وذلك الإبداع الذي نلمسه في الكون حيث اتجهت أبصارنا وتوجهت بصائرنا وعقولنا يدلنا بشكل قاطع على أن وراء ذلك كله خالقاً قديراً أزلياً وعالماً خبيراً لا نهاية لخبرته ولا حدود لعلمه وقدرته هو الذي خلق وقدر ونظم ندركه بآثاره وبمظاهر قدرته وإبداعه)[٢٣٧]. وقد أكد ذلك من قبل الإمام علي عليه السلام بقوله: (**ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله**)[٢٣٨].

وقد تجلت آية الخلق والإبداع في أضخم مجالي الوجود، وهما خلق السماوات والأرض، وفي أعظم الظواهر الناشئة عن ذلك الخلق، كالظلمة، والنور، يقول تعالى مادحاً نفسه الكريمة على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده أنه جعل الظلمات والنور منفعة لهم في ليلهم ونهارهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٢٣٩].

وذلك أن الآية كان مقصدها (ذكر الدلالة على وجود الصانع وتقريره: أن أجرام السماوات والأرض تقدرّت في أمور مخصوصة، بمقادير مخصوصة، وذلك لا يمكن حصوله إلا بتخصص الفاعل المختار)[٢٤٠].

وهذا الفاعل المختار سبحانه (أشار إلى نظام الكون العام الذي عليه تُدَبَّر الأشياء على كثرتها وتفرقها فما عالمنا في نظامه الجاري المحكم إلا عالم الأرض الذي يحيط به عالم السماوات على سعتها ثم يتصرف بها بالنور والظلمات اللذين عليهما يدور رحى العالم المشهود في تحوله وتكامله فلا يزال يتولد شيء من شيء، ويتقلب شيء إلى شيء، ويظهر واحد ويخفي آخر، ويتكون جديد ويفسد قديم، وينظم من تلاقي هذه الحركات المتنوعة على شتاتها الحركة العالمية الكبرى التي تحمل أثقال الأشياء،وتسير بها إلى مستقرها)[٢٤١].

ومع هذا التنظيم للكون وخلقه العظيم، ومع اعتراف الإنسان الكافر نلحظه يميل في اتخاذ الإله المستحق للإلوهية صاحب هذا الكون العظيم ومنظمه إلى مصنوعات لا تكاد تكون إلا أجزاءً صغيرة في مجال الكون، لا يكون من فعلهم هذا إلا العجب، فالإنسان العاقل يدرك بمجرد الملاحظة إلى خلق السماوات والأرض ونظامها أن وراء هذا الخلق خالقاً هو أعظم مما يرى.

يقول السيد الطباطبائي: (أن الله سبحانه بخلقه السماوات والأرض وجعله الظلمات والنور متوحد بالإلوهية متفرد بالربوبية لا يماثله شيء ولا يشاركه، ومن العجب أن الذين كفروا مع اعترافهم بأن الخلق والتدبير لله بحقيقة معنى الملك دون الأصنام التي اتخذوها آلهة يعدلون بالله غيره من أصنامهم ويسوون به أوثانهم فيجعلون له أنداداً تعادله بزعمهم فهم ملومون على ذلك)[٢٤٢].

أما الإنسان الواعي فأمره مختلف، ووجه اختلافه أنه أعطى لنفسه تأملاً في خلق السماوات والأرض، فكان من المؤمنين الذين (لا يكتفون بالنظر المعتبر حسب، وإنما يعبرون عن إحساساتهم بالحق الذي لابسهما - في خشوع العابدين وترتيل المرتلين - بألفاظ تنبئ عن رهافة أحاسيسهم، وتيقظ مشاعرهم)[٢٤٣] التي تولدت عن عقيدة التوحيد للخالق الذي برأ الكون، فتعزز الإيمان وتلبس بهم وهم يشاهدون عظمة خلق السماوات والأرض، وهذا ما نلحظه جلياً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢٤٤].

فالإنسان الناظر إلى الكون - بسمائه وأرضه - مع قليل من التفكير يضفي تعزيزاً إيمانياً في بناء عقيدته إذ يعطيه وعياً خاصاً ويترك في عقله آثاراً عظيمة،

وأول تلك الآثار هو الإنتباه إلى هدفية الخلق (وأنه لا يمكن أن يكون قد خُلق هذا الكون العظيم باطلاً وعبثاً وبدون غاية وحكمة)[٢٤٥].

ويتجلى رسوخ البناء العقدي في نفوسهم، وأثر هذه الآيات الكونية فيه - غاية خلق السماوات والأرض - في قولهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾، فتعبيرهم هذا (ينبئ عن الحق الذي عرفوه في خلقها، والخالق الذي اطمأنوا إلى وجوده من ورائها، ولعلهم أدركوا في هذا التأمل الخاشع ما في خلق هذه العناصر من التناسق الأخاذ، والنظام البديع، فصاروا يرددون دعاءهم الخاشع ذاك)[٢٤٦].

وهكذا هو الإنسان المنتمي إلى عقيدة التوحيد، تزيده الآيات الكونية رصانة في بنائه العقدي، وذلك كما يرى الشيخ محمد مهدي الآصفي، أن (الشخصية العقائدية تتمتع بعقلية هادفة وسلوك مستقيم واتجاه رسالي، بينما يعيش الإنسان اللا منتمي مأساة الضياع والفراغ العقلي والفقر النفسي، بصورة مخفية)[٢٤٧].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإنسان اللا منتمي إلى عقيدة التوحيد، وكيف أن هؤلاء غافلون عن الآيات الكونية، معرضون عن التأمل فيها وهم لها يشاهدون، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢٤٨].

فهم كالجماد الذي لا يتأثر ولا يتفاعل مع هذا الكون العجيب الذي يعزز الإيمان ويسمو ببناء العقيدة، إذ يصفهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي كالخُشب المسندة إذ يقول في معرض تفسير الآية السابقة: (إنّ أسرار هذا النظام العجيب وهذا الشروق والغروب وحياة النباتات والحشرات والإنسان، وهدير المياه، وحركة النسيم، وكل هذا الفن العجيب للوجود هو من

الوضوح بحيث إن لم يتدّبر أحد فيه وفي خالقه سيكون كالخشبة المسندّة)[٢٤٩].

وهذه الخشبة المسندة بطبيعة الحال لا يمكن أن ترى وراء هذا الكون خالقاً أو أن يتعزز فيها الإيمان، فآيات الله تعالى تتجلى للنفوس التي فيها بريق أمل وأساس للعقيدة فأولئك (هم الذين تنفتح بصائرهم للحقائق، وهم الذين يتصلون من ورائها بالمنهج الإلهي الموصل إلى النجاة والخير والصلاح)[٢٥٠].

وفي أهمية الآيات الكونية في بناء عقيدة الإنسان من حيث عجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره نتأمل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٢٥١]، هذه السماوات المرفوعة بهذا البُعد الهائل معروضة للأنظار ظاهرة للعيان، أنها عظيمة حقاً حين يتأملها الإنسان وتتدبرها العقول وهي لا تستند إلى شيء حين يتأمل الإنسان ويعمل فترة يهتز وجدانه، ويدرك أن لا أحد يقدر على رفعها بعمد أو بغير عمد إلا الله تعالى، فـ(هذه هي اللمسة الأولى في مجالي الكون الهائلة وهي بذاتها اللمسة الأولى للوجدان الإنساني، وهو يقف أمام هذا المشهد الهائل يتملاه)[٢٥٢].

ثم تنقله هذه الآية الكريمة بسياق قرآني إلى ما وراء ذلك إلى عالم الغيب الذي تتقاصر من دونه المدارك والأبصار، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يرتقي به السياق القرآني إلى العلو المطلق، علو الله تعالى على العرش في (استيلائه على ملكه وقيامه بتدبير الأمر قياماً ينبسط على كل ما دق وجل، ويترشح منه تفاصيل النظام الكوني)[٢٥٣]، فإن كان في السماوات علو فإن الله أعلى وأجل، وإن كان في السماوات والأرض عظمة في الخلق فالله أعظم لأنه

الخالق سبحانه، فله الاستعلاء المطلق والعظمة المطلقة، ولا يخفى ما في الاستشعار بهذه العظمة وهذا الاستعلاء من المهابة في النفس البشرية للخالق العظيم وما ينتج عن ذلك من بناء عقدي قويم.

وتنتقل الآية الكريمة بالنفس البشرية إلى تسخير الكوكبين النيِّرين ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وفق سنة مقدرة يجريان في الفلك، وإلى أمد مقدر لهما، ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٢٥٤).

ومع هذا التسخير الحكمة والتدبير، (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) إذ الأمر كله بيده، والكون كله تحت تصرفه، والخلق جميعاً في قبضته ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢٥٥) وفي تدبير الأمر وتفصيل الآيات أي تنظيمها وتُبيينها (يُفَصِّلُ الآيَاتِ) كل ذلك يدل على أن من يقدر على بدء هذه الأشياء يقدر ولاشك على الإعادة، وهذا كله يوحي بأنه لا بد من عودة إلى الخالق العظيم بعد فناء هذه الحياة الدنيا، لذلك ختم الله سبحانه الآية بقوله: (لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ).

فتحقُق هذا البناء اليقيني مُناط بأن يكون (الله سبحانه وتعالى في عقيدة الإنسان المؤمن، مبدأ كل كمال وجمال وجلال ورحمة وسلطان في الكون)(٢٥٦).

ومن سياق تفسير الآية محل البحث: ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، نلحظ فيه أهمية وسيلة النظر في الآيات الكونية في بناء العقيدة، وأنها مساوية في مقام الدعوة إلى توحيد الله تعالى مع القرآن الكريم من حيث ألفاظه.

فيرى السيد الطباطبائي أن المراد بالآيات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ﴾[٢٥٧]، هي (الموجودات الكونية والأشياء الخارجية المسخرة في النظام العام الإلهي، والمراد بالكتاب هو مجموع الكون الذي هو بوجه اللوح المحفوظ أو المراد به القرآن الكريم بما يشتمل على الآيات الكونية بنوع العناية والمجاز. وعلى هذا يكون في الآية إشارة إلى نوعين من الدلالة وهما الدلالة الطبيعية التي تتلبس بها الآيات الكونية من السماء والأرض وما بينهما، والدلالة اللفظية التي تتلبس بها الآيات القرآنية المنزلة من عنده تعالى إلى نبيه ﷺ والمعنى - والله أعلم - تلك الأمور الكونية - وقد أُشير بلفظ البعيد دلالة على ارتفاع مكانتها - آيات الكتاب العام الكوني دالة على أن الله سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته والقرآن الذي أنزل إليك من ربك حق ليس بباطل)[٢٥٨].

يتبين بذلك أن للدعوة إلى توحيد الله تعالى كتابين، كتاب مقروء، وهو القرآن المجيد، وكتاب منظور وهو الكون العظيم، وقد حث الكتاب الأول على النظر إلى ما في الكتاب الثاني مما في السماوات والأرض من آيات بينات، ودلائل واضحات، على وجود الإله القادر الحكيم، ولذلك فإنه يوجه الخطاب إلى النبي ﷺ كي يلفت أولئك المعرضين عن كتاب الكون، ويحثهم على التأمل في ما خلق الله تعالى في السماوات والأرض من تلك البينات، ويجعل منها مفتاحاً للإيمان ومعرفته، والاعتراف بربوبيته، فقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٥٩].

يقول الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية الكريمة: (قل يا محمّد لمن يسألك (انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) من الدلائل والعبر، من اختلاف الليل والنهار، ومجاري النجوم والأفلاك، وما خلق من الجبال والبحار، وأنبت من الأشجار والثمار، وأخرج من أنواع الحيوانات، فإن النظر في أفرادها وجملتها، يدعو إلى الإيمان، وإلى معرفة الصانع، ووحدانيته وعلمه، وقدرته وحكمته)[٢٦٠].

وإن أولئك الذين لا يتأملون في كتاب الكون بما فيه من آيات، لا يتأثر فكرهم ووجدانهم، وبالتالي فلا مناص لهم من الانحراف في عقيدتهم وإيمانهم، فلا ينفعهم حينئذٍ الكتاب المقروء ولا حتى الأنبياء والرسل، إن لم يشاهدوا ما في الكون من آيات ودلائل.

وفي ذلك قال الشيخ الطبرسي في معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾(٢٦١): (معناه: وما تغني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها، ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الأدلة تفكراً وتدبيراً، ولا يريدون الإيمان.)(٢٦٢).

إن الأدلة على وجود الله تعالى لا تحصى، وعددها كعدد مخلوقات الله، فكل مخلوق يحمل أدلة تدلنا على خلقه وتعرفنا بموجده العليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢٦٣)، ويمكن القول بعد تتبع الآيات الكونية في القرآن الكريم: أن أية آية كونية في القرآن الكريم يمكن أن نتخذها طريقاً للاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته لاسيما الآيات التي تشير إلى الظاهرة الكونية التي يمكن للبحث العلمي أن يشق طريقه فيها معتمداً على المشاهدة والتجربة، كاشفاً عن الأسرار العظيمة ودقة الكون ونظامه الرائع.

وابن رشد (ت٥٩٥هـ) يؤكد على هذا النوع من الاستدلال، ويثبت أن ذلك طريق القرآن، فهو بعد أن يذكر أدلة المتكلمين ويبين أنها ليست الطريقة الشرعية التي دعا الشرع بها جميع الناس، يذكر الطريقة التي نبّه القرآن الكريم عليها ودعا الكل إلى بابها، وأنها تنحصر في جنسين: (أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله، ولنسمي هذا دليل العناية، والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء للموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل،

ونسمي هذه دليل الاختراع)[٢٦٤]. وفي القرن العشرين نلاحظ أن الشيخ محمد عبده يؤكد ما ذكرناه[٢٦٥].

وبين الشيخ محمد متولي الشعراوي هذا الأسلوب وأهميته في بناء العقيدة بقوله: (وهكذا نتعرف على الخطوات التي يجب أن نتبعها في معرفة الله، ويحثنا القرآن على اتباعه فالخطوة الأولى في سبيل معرفتنا بالله وهي الوعي الطبيعي والشعور الفطري بوجود قوى عليا- وراء هذا الكون المادي –، والخطوة الثانية هي شيء من التفكير والتبصر والتأمل في أرجاء هذا الكون، ومنها تدفع المشاعر الفطرية للفكر – العقل – إلى تقديم البراهين الكونية التي تكشف عن وجود الله من خلال الاستنتاج، وإدراكنا بمثل هذه البراهين وتناولنا التفصيلات وتفسيرها أنما يتمثل في أن نجد أن لهذه البراهين دليلاً تجريبياً علمياً نصل إليه من خلال الحواس)[٢٦٦] إلى وجود الله تعالى (مما لانجد له أثراً في الكتابات الجدلية الجافة عند كثير من المتكلمين)[٢٦٧]، وكل هذا يشير بوضوح إلى أهمية دراسة العقيدة الإسلامية والعناية بها والرجوع في مقرراتها إلى المصدر الصحيح الموثوق المعصوم الذي لا تشوبه شائبة، وهو القرآن الكريم وما فيه من آيات الكون.

ويعزِّز هذه الأهمية أن بعض العلماء في مرحلة من مراحل تدوين علم العقيدة والإيمان، انصرفت عنايتهم إلى الجدل والرد على المخالفين بأسلوب ومنهج يتفق مع منهج أولئك المخالفين، فتأثروا بالمنهج الفلسفي الإغريقي، وكان لترجمة كتب اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها، أثر في بعض الذين فتنوا بها، فحاولوا التفلسف في ضوئها وتأثروا بها منهجاً وموضوعاً، حين راحوا يفسرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة، فحالوا بينها وبين الإسلام، وفسروا القرآن المجيد على ضوء الفكر اليوناني، ومع أن هذه الفلسفة وسّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام فإنها غَشت على

أبصارهم في فهم القرآن[٢٦٨].

وتتجلى هذه الجفوة التي عامل بها المتأثرون بالمناهج الفلسفية والكلامية القرآن الكريم من خلال أننا إذ نقرأ (كتاباً كاملاً في العقيدة الإسلامية، فلا نجد فيه آية كريمة أو حديثاً شريفاً، بحجة أن النصوص القرآنية والنبوية لا تفيد القطع واليقين، بينما نجد أقوال الفلاسفة والمتكلمين لها القدح المُعلى والمكانة التي لا تدانيها مكانة! فكان لابد من إعادة الأمر إلى نصابه بالعودة إلى المصادر الصحيحة الموثقة في دراسة أصل الدين وهو العقيدة والإيمان.)[٢٦٩].

إذن أسلوب النظر في الآيات الكونية مما يؤكد البناء العقدي للإنسان، و(أن كل ما في العالم ليس زخرفاً وبدون فائدة، لأنها من مخلوقات الله الذي لا نهاية لعلمه ولا حدَّ لحكمته، وإنما الساذج والزخرف فهم أولئك الذين يعتقدون بأن العالم وجود عبث وليس له غاية وفائدة)[٢٧٠].

ومن ذلك ما أكده أمير الموحدين الإمام علي عليه السلام في الاستشهاد بالموجودات والآيات الكونية في بناء عقيدة التوحيد في قوله عليه السلام: (فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود)[٢٧١].

ونلحظ هذه الأهمية للآيات الكونية وآثارها التي أرادها تعالى حجة على الإنسان في بيان وجوده سبحانه وتعالى، ما أكده الإمام علي عليه السلام أيضاً في قوله: (وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته، مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته، وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً محجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة)[٢٧٢].

فالكون آية الله الكبرى، ومعرض من معارض قدرته التي تُحير العقول،

ومشاهد الكون السماوية والأرضية في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى، ولا تكاد سورة تخلو من مشهد أو عدة مشاهد تتحدث عن السماء والأرض والماء والنبات والحيوان، والطير...، مشاهد تجذب النظر وتثير الحس وهي تهدف إلى ربط الإنسان بالكون وتلمس مظاهرها، واستقصاء أسرارها لاستجلاء آثار القدرة ومظاهر الإبداع الإلهي لتحقيق البناء العقدي للإنسان.

المبحث الخامس

أثر الاعتقاد الصحيح (التوحيد) في بناء الإنسان

العقيدة أهم قضية عرض لها القرآن، لأن التوحيد مطلوب قبل كل شيء، ولا يُقبل عمل إلا بتوحيد خالص، وما يُقسَم للناس في الدنيا والآخرة إلا على أساس التوحيد، فإذا تم بناء (العقيدة) عند الإنسان على أساس قوي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمّد ﷺ نبياً ورسولاً، وأن بعد هذه الحياة حياة أخرى، كان هذا محركاً قوياً يحرك الإنسان إلى الالتزام، وهذا هو الوازع الذي تتحرك دوافع الإنسان على ضوئه ويتفاعل بناءً عليه، وبالتالي يتكون لديه رادع قوي عن الشهوات والشبهات، ويتربى على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

وهذا هو التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله تعالى خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله سبحانه، ويقول الله تعالى عن التوحيد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢٧٣).

فهذا تذكير بوجوب وحدانية الله سبحانه، وانحصار الإلوهية فيه تعالى(٢٧٤)، وبالتالي فإن أعلى قيمة في هذا الكون هي قيمة الإيمان، ومن حاز

هذه القيمة فله الخير كله، ومن فقدها فليس بنافعه شي.

وتمسك الإنسان بهذه العقيدة تمسك شامل لجميع نواحيها من دون تبعيض يؤتي ثماره عليه، ويفكه من مكامن هذه الأسباب، إذ الإيمان في قلب الإنسان كمثل شجرة طيبة كلما رسخت جذورها وتفرعت أغصانها آتت ثمراتها الطيبة اليانعة النافعة، وإن كانت هذه الثمار نسبية عند الإنسان، وهي بقدر مايعيها في نفسه ويعمل بها، وفي ذلك يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: (يتفاوت الناس فيما تتركه فيهم عقائدهم من آثار، وتتفاوت نظراتهم إلى الحياة والأحياء بتفاوت ما تتركه فيهم تلك الآثار من الانطباعات والأفكار)[٢٧٥].

وبطبيعة الحال لا يقتصر الأثر فقط من عقيدة التوحيد على الإنسان، بل إن كل عقيدة (مهما كان خطها الفكري – مادياً أو روحياً – تترك آثارها على الفرد والمجتمع، أو تخلق أجواء معينة تؤثر على سلوكية الفرد وسلوكية المجتمع كذلك)[٢٧٦].

وتحقيقاً لفرضية البحث، يتناول الباحث أثر العقيدة الإسلامية على الإنسان بعد إيمانه بها وتمثلها في حياته اليومية، متلمسين هذا الأثر على الإنسان كفرد وكمجتمع وعلى النحو التالي:

أولاً: أثر العقيدة في الإنسان (الفرد):

أولاً: تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى أو الخضوع لسواه، وذلك (أن عقيدة التوحيد تطبع معتنقيها على حب الحرية والاستقلال)[٢٧٧].

يقول السيد هادي المدرسي: (إنك عندما تعبد الله وتخضع له، ترفض كل الآلهة لتؤمن بإله واحد: (لا إله إلا الله)، بينما حين ترفض الإيمان بالله لابد وأن يتحول كل شيء بالنسبة إليك إلهاً مزيفاً)[٢٧٨]، وهذا الإله المزيف هو رق

من غير مبرر له، فالعلم بأن الأمر لله سبحانه أولاً وآخراً وله مقاليد كل شي يكون الخضوع له أولى من غيره، وبالتالي فلا عبودية إلا لله، ولا طاعة إلا لله، ولا تلّقيَ إلا عن الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٢٧٩). إنها كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يستعبد بعضهم بعضا، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، فلا يصح أن (نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد)(٢٨٠).

وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام في تحرير الإنسان من عبادة غير الله تعالى: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)(٢٨١)، وما أروع ما ورد عنه عليه السلام في الحرية ونبذ العبودية للبشر، فقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس أن آدم لم يلد عبداً ولا أمة أن الناس كلهم أحرار)(٢٨٢)، فالعبودية بعقيدة التوحيد حرية والحرية في عبادة غير الله سبحانه عبودية مظلمة.

ولا نعني هنا بالعبودية لغير الله تعالى التمثل بمظاهرها المعروفة من الطقوس والمناسك وحسب، بل نعني بها كل عبودية تكون عاملة في نفس وجوارح الإنسان في طاعة غير الله تعالى، وبالتالي الوقوع بشراك العبودية وانعدام الحرية، وهذا المعنى نلحظه في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢٨٣). يقول السيد الطباطبائي: (واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله هو إصغاؤهم لهم وإطاعتهم من غير قيد وشرط ولا يطاع كذلك إلا الله سبحانه)(٢٨٤).

في حين كانت عقيدة التوحيد تدعو إلى التحرير من كل أشكال العبودية

لغير الله تعالى، فهذه العقيدة هي وحدها التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، والفطرة الإنسانية مجبولة على الحرية والتحرر، وهي منسجمة مع توحيد الله تعالى وعبوديته.

ثانياً: بعث الطمأنينة والسكينة والثقة في النفس: اتفقت جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيس في نشوء الأمراض النفسية، والإيمان بالله تعالى إذا ما ثبت في النفس منذ الصغر فإنه يكسب الإنسان مناعة من الأمراض النفسية.(٢٨٥)

وإن الناظر إلى العالم الغربي ليجد الكثير من الأمراض النفسية والانهيارات العصبية المستشرية فيه، بل وحالات الانتحار، وما ذلك إلا نتيجة لخواء القلوب من الإيمان، وخلائها من العقيدة، مما نتج عنه عدم الأمن والأمان النفسي.

وأكدت دراسات كثيرة ارتباط الإيمان بالصحة النفسية، وارتباط ضعف الإيمان والكفر بوهن الصحة النفسية، فأشارت نتائجها إلى أن معظم المضطربين نفسياً وعقلياً لا دينيون، ليس لهم هدف رئيس في الحياة، وأن معظم الأصحاء نفسياً لهم عقيدة دينية، وانتهت الأكاديمية الوطنية للدين والصحة النفسية في أمريكا إلى أن الإيمان من عوامل الصحة النفسية، لأن الدين يجعل للحياة غاية، ويمد الإنسان بقيم مطلقة تنظم سلوكه، أما الإلحاد فمن عوامل وهن الصحة النفسية والاضطرابات النفسية والعقلية، لأنه يدل على اختلال فلسفة الحياة عند الملحد واختلال اتجاهاته نحو نفسه ونحو أسرته والناس والعالم.(٢٨٦)

وفي مجال الإطمئنان النفسي ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(٢٨٧)، ويمكن أن نلحظ جملة من عوامل القلق

والاضطراب النفسي، منها:[٢٨٨]

١. يحدث الاضطراب مرة بسبب ما يجول في فكر الإنسان عن المستقبل المظلم، فيحتمل زوال النعمة، أو الضعف والمرض، فكل هذه تؤلم الإنسان، لكن الإيمان بالله القادر المتعال، الله الذي تكفل برحمة عباده... هذا الإيمان يستطيع أن يمحو آثار القلق...

٢. ومرة يشغل فكر الإنسان ماضيه الأسود فيمسي قلقاً بسبب الذنوب التي ارتكبها وبسبب التقصير والزلات، ولكن الإيمان بأن الله غفّار الذنوب وقابل التوب تمنح الإنسان الثقة.

٣. ضعف الإنسان في مقابل العوامل الطبيعية، أو مقابل كثرة الأعداء يؤكد في نفسه حالة القلق... ولكن لو تذكر أن الله تعالى قادر واستند هذا الإنسان إلى قدرته ورحمته تعالى لم يكن وحيداً.

٤. ومن جانب آخر يمكن أن يكون أصل المشقة هي التي تؤذي الإنسان، كالإحساس بتفاهة الحياة أو اللاهدفية في الحياة، ولكن المؤمن بالله يعتقد أن الهدف من الحياة هو السير نحو التكامل المعنوي والمادي.

٥. ومن العوامل الأخرى أن الإنسان مرّة يتحمل كثيراً من المتاعب للوصول إلى الهدف، ولكن لا يرى من يُقيّم أعماله ويشكر له هذا السعي، وهذه العملية تؤلمه كثيراً فيعيش حالة من الاضطراب والقلق، وأمّا إذا علم أن هناك من يعلم بهذا السعي ويشكره عليه فلا مَحَلَّ لهذا القلق والاضطراب النفسي.

٦. سوء الظن عامل آخر من عوامل الاضطراب يصيب كثيراً من الناس في حياتهم ويبعث فيهم الألم والهم، ولكن الإيمان بالله تعالى ولطفه المطلق وحُسن الظن به يزيل هذا القلق.

٧. الهوى وحب الدنيا من أهم عوامل القلق والاضطراب، وقد تصل الحالة في عدم الحصول على لون خاص في الملبس، أو أي شيء آخر من مظاهر الحياة البراقة أن يعيش الإنسان حالة من القلق قد تستمر أياماً وشهوراً. ولكن الإيمان بالله سبحانه والتزام الزهد والاقتصاد وعدم الاستئسار في مخالب الحياة المادية... ينهي حالة الاضطراب هذه.

وفي هذا نلحظ مدى الاطمئنان النفسي لدى مَن عرف الدنيا على حقيقتها كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: (أن دُنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سُبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)[٢٨٩]، فمن كانت له مثل هذه الرؤية كيف تحدث عنده حالة الخوف والقلق نتيجة لعدم الحصول على شيء من وسائل الحياة المادية أو فقدانها ؟! بل تطمئن نفسه ويهدأ باله وينشرح صدره وتُضاء روحه بنور الإيمان بالله والثقة بلطفه ورحمته وكرمه وعنايته.

ولم يتأتَّ هذا الاطمئنان النفسي للإمام علي عليه السلام إلا لما لمسه في وجدانه من عقيدة التوحيد فبان أثره في سلوكه؛ وفي موضع آخر يصف فيه المؤمنين الذين استقرت نفوسهم بالإيمان فيقول فيهم عليه السلام: (أن أوحشتْهم الغربة أنسهم ذكرك، وأن صُبَّتْ عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأن أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك)[٢٩٠]، فهكذا عوامل القلق والاضطراب النفسي تذوب وتضمحل في مقابل الإيمان بالله تعالى فيتحقق قول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

ثالثاً: يقظة الضمير ومراقبة الله تعالى في كل ما يعلمه أو يقوله أو يفكر به، لأنه يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا من ثمار الإيمان التي تعجز قبالها أعتى الآيديولوجيات لزرع هكذا منقبة، ولكن الإنسان المؤمن يلتمس ذلك فيه، ويستشعره في

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٢٩١].

فالإنسان المؤمن تتضح عليه آثار العقيدة التي اعتنقها في ظاهر تصرفاته وبواطنها، ولا يتوهم هذا الإنسان أبداً أن الله تعالى غير شاهد على باطنه، فهو يعلم من عقيدة التوحيد أن الله سبحانه لديه السر والعلانية، والأمر عند الخالق تعالى سيان في الظاهر والباطن، ففكرهم ونواياهم الله مطلع عليها[٢٩٢]، وفي ذلك نلحظ قوة هذه العقيدة في نفوس المؤمنين فيما يوضحه الإمام علي عليه السلام بحق عقيدته بالله تعالى، إذ يقول: (تشاهدهم في سرائرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفة...)[٢٩٣].

ومن الأمور التي وردت في القرآن الكريم ولها أهمية في بناء الوازع (الضمير) الإيماني لدى الإنسان، الحث على محاسبة النفس، يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢٩٤] فمن ثمار الإيمان المحاسبة التي هي أساس من أُسس التقوى، ومن العوامل الأساسية لبناء الضمير الإيماني داخل النفس الإنسانية.

فالضمير الديني وارتقاؤه ورهافته أثر بالغ من آثار الإيمان بعقيدة التوحيد، (فهو أعظم مدد، وأقوى (مولّد) يغذيه، ويمده (بالتيار) الذي يمنحه الضوء والحرارة والقوة المحركة، كما أن عقيدة المؤمن في الله أولاً، وعقيدته في الحساب والجزاء ثانياً، تجعل ضميره في حياة دائماً، وفي صحو أبداً، كما أنه يجعله (وبشكل دائم) معتقداً بأن الله معه في السفر والحضر، في الجلوة والخلوة، لا يخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية)[٢٩٥].

ومن ذلك ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ

مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢٩٦). فالإنسان المؤمن بهذه العقيدة مرتقب في سلوكه وحتى كلامه سره وعلانيته، فهو يعتقد بأن الرب الذي يعبده ويؤمن به محيط بكل شيء بما تحمل هذه المفردة (شَىْءٍ) من معنى، وهو سبحانه يلحظنا ويرانا من حيث لا نراه، يقول الزمخشري: (ومعنى كونه معهم: أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه، فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة)(٢٩٧).

كما نلحظ أيضاً مصداق الواعز الإيماني في الضمير الإيماني في دعاء الإمام الحسين بن علي عليه السلام إذ يقول: (متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً)(٢٩٨)، ومن هذا نلتمس أثر العقيدة في نفس الإنسان وثمارها فيه بعد أن تم بناؤها بحسب ما يُريد الله سبحانه.

وواضح أن هذه الرقابة لا توجد في غير العقيدة الدينية، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجردة الميتة التي يؤمن بها الإنسان أن تعي تصرفات الناس، وتراقب حركاتهم وتصرفاتهم، وتحاسبهم على ذلك.

ويقول الشيخ باقر شريف القرشي: (إنّ العاصم الوحيد الذي يمكنه أن يحجز الإنسان من الانحراف، ويصده عن الطغيان، أنما هو الضمير الواعي المترع بروح العقيدة والإيمان وهو أعظم وازع من الوقوع في حماة الرذائل والحرام، ويجهد الإسلام على تكوينه وتقويمه ليكبح جماح الشهوات، ويوجه الإنسان في ميدان مشرق يسوده رضاء الله، ورضاء الضمير)(٢٩٩).

إذن فتربية الضمير النابع من الإيمان المتولد من البناء السليم للعقيدة الإسلامية يوضح أن الإنسان يُساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات كافيين وحدهما لإقامة إنسان فاضل يحترم

الحقوق ويؤدي الواجبات على وجهها الأكمل.

رابعاً: العزة والثبات: إن الرباط الوثيق الذي يقيمه الإيمان بين الإنسان وربه يمنحه العزة به والعزة كلها لله تعالى، وليس لأحد سواه، وهو ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٣٠٠).

فالعزة لا توجد ولن توجد إلا عند الله تعالى فهي جميعاً عنده، والإنسان الذي يتمثل بالعقيدة نلحظ فيه هذه الثمرة من حيث المنفعة في دينه، وعدم الانحناء إلى مخلوق أو طاغوت، ولا لقوة سلطان، ولا لمصلحة أو رئاسة، وإنما يظل عزيز النفس والهوى، قوي الإرادة والتصرف، لأنه تيقن أن العزة لله جميعاً.

وفي ذلك يقول سيد قطب: (العزة استعلاء على شهوة النفس واستعلاء على قيد الذل، واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله تعالى ثم هي خضوع لله وخشوع لله وتقوى، ومراقبة الله في السراء والضراء)(٣٠١).

أما الإنسان اللا منتمي إلى عقيدة التوحيد نراه يتخبط في التماس العزة، فلا يصل إليها لأنه لم يسلك سبيل الله تعالى، فلا تلحظه قد نال من العزة إلا ظاهرها، ويبقى خاوياً عنها، فالكافرون كانوا يتعززون بالأصنام، وهذه الأصنام تتمثل اليوم في قوى الشر الكبرى في عصرنا الحاضر فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾(٣٠٢).

وآخرون من الذين آمنوا بألسنتهم من غير أن يدخل الإيمان قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين، ظانين أن العزة في موالاتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾(٣٠٣)، وهذا الاستفهام الإنكاري

دليل بطلان رأيهم وخيبة رجائهم.[٣٠٤]

أما الإنسان ذو العقيدة الإيمانية فنرى فيه العزة وهو في أشد ما يكون من تكالب قوى الشر الخارجية عليه، فهنا الامتحان الحقيقي لجني ثمار العقيدة، فهذا الإمام الحسين بن علي عليه السلام عندما خُيِّرَ بين القتال والقتل والذل والخنوع، اختار ما فيه العز لدينه ولنفسه، فقال عليه السلام: (ألا أن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنين: بين السلة. والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون)[٣٠٥].

وهذا شعار طرحه الإمام الحسين عليه السلام من خلال ثورته الرسالية[٣٠٦]، أراد أن ينبه الأمة من خلاله إلى أصالتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية، وأن العزة الحقيقية لا تكون بالضرورة مع أصحاب المناصب والجاه الدنيوي والرفاهية المادية، وفي هؤلاء يتحقق مصداق قوله تعالى: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾[٣٠٧] وفي هذه الآية الكريمة: (استفهام إنكاري ثم جواب بما يقرر الإنكار فإن العزة من فروع الملك لله وحده)[٣٠٨]، فلا يمكن أن تكون العزة إلا مع المالك الحقيقي هو الله المنعم على عباده المكرمين وبيده أزمة الأمور طُرّاً ومقاليد السماوات والأرض وهو مسبِّب الأسباب وحده لا شريك له في كل ذلك.

وهذا تكريم يكرم الله تعالى به عباده، يحمل الإنسان على الغلبة والظهور والعلو، ويغرس في نفسه الغنى بطاعته تعالى، فتظل قوية متماسكة لا تلين ولا تتضعضع، مستقرة راسخة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٣٠٩].

وهذا هو العز الدائم من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ولعباده المؤمنين، لا سبيل لزواله أو انقطاعه، حتى يعيش الإنسان المؤمن في عز دائم يدافع عن إيمانه

بكل قوة ورباطة جأش، وقوة وثبات، فلا يتزحزح من مكانه ولا يلين أو يضعف، ولا يخشى أحداً سوى الله تعالى.

ثانياً: أثر العقيدة في المجتمع:

لقد حوى القرآن الكريم التشريعات والآداب والتوجيهات البناءة كافة، لقيام الأمة الإسلامية، لتكون في محل القيادة والريادة، والأمر والنهي.

وأول هذه التشريعات وأصلها وقاعدتها العقيدة الإسلامية، التي تجمع الأمة على رب واحد، هو خالق السماوات والأرض والخلق أجمعين، فيجتمعون على عبادته من الحب والخشية، والرجاء والتقوى، فتتوحد قلوبهم وضمائرهم، وتتوجه أعمالهم جميعاً إليه، وتلتقي مشاعرهم نحوه، وتزداد أواصر التعاون والإخوة بينهم، ولعل من أبرز آثار العقيدة الإسلامية على المجتمع هي:

أولاً: الوحدة والإخاء: عقيدة التوحيد ذات مغزى كبير في توحيد المجتمع، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣١٠). فوحدة الرب المعبود، ووحدة العقيدة تنمّي مشاعر القربى بين المؤمنين فيستشعرون إخاءً عظيماً يجمعهم، فوحدة العقيدة من أهم أسباب وحدة المجتمع.

فالإخوة في الله تعالى من أوثق روابط النفوس وأمتن عُرى القلوب وأسمى صلات العقول والأرواح؛ لأن الإخوة الإيمانية جزء لا يتجزأ من العقيدة التي تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم.

يقول محيي الدين بن العربي(ت٦٣٨هـ): (إنّ الإيمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل يقتضي الإخوة الحقيقية بين المؤمنين للمناسبة الأصلية والقرابة التي تزيد على القرابة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحاني في عين جمع الوحدة لا المحبة النفسانية

المسببة عن التناسب في اللحمة فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة وإحدى خصالها إذ لو لم يعدوا عن الفطرة ولم يتذكروا بغواشي النشأة لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا فوجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للإخوة الحقيقية الإصلاح بينهما وإعادتها إلى الصفاء)(٣١١).

ومن هذا المبدأ تكمن عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية، يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (أن أكبر ظاهرة للإسلام بل من أعظم أعماله تلك الدعوة إلى الوحدة المطلقة بأوسع معانيها وتحطيم الفروق حتى بين الشعوب والأمم المختلفة)(٣١٢).

وبطبيعة الحال لا يعني الباحث بالوحدة والإخاء أن يذوب كل من الشيعة الإمامية والسنة بعضهم في بعض، فالخلاف في الرأي طبيعة ارتكازية في البشر، ولعل إليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(٣١٣)، وإنما العمل على تقريب وجهات النظر وهو ما يعرف اليوم بالتقريب بين المذاهب، يقول السيد عبد الحسين شرف الدين: (إنّ لمّ شعث المسلمين ليس موقوفاً على عدول أيٍّ من الشيعة أو السنة عن مذهبهم)(٣١٤).

وكذلك يرى الشيخ محمود شلتوت أن التقريب بين المذاهب الإسلامية لا يعني الانصهار بينها أو ذوبان خصوصية كل مذهب في المذهب الآخر أو بقاء مذهب على حساب مذهب آخر، وإنما هي إزالة ما علق فيها مما ليس فيها، فيقول: (ليست الدعوة إلى تقريب المذاهب الإسلامية دعوة إلى بقاء مذهب على حساب مذهب، ولكنها دعوة إلى تنقية المذاهب من الشوائب التي أثارتها العصبيات والنعرات الطائفية، وأذكتها العقلية الشعوبية)(٣١٥).

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٣١٦].

فتحولت هذه المعاني إلى حقائق ذهنية استوعبها الذهن والقلب فصدر عنه سلوك عملي من المسلمين الأوائل حينما بلغوا هذه الدرجة من المحبة الأخوية (لما اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله، ولاحت لهم آيات السعادة، وذاقوا شيئاً من حلاوة النعم وجدوا صدق ما يذكرهم به الله من هنيء النعمة ولذيذ السعادة فكان الخطاب أوقع في نفوسهم ونفوس غيرهم. ولذلك بُني الكلام ووضعت الدعوة على أساس المشاهدة والوجدان دون مجرد التقدير والفرض فليس العيان كالبيان، ولا التجارب كالفرض والتقدير)[٣١٧].

وبطبيعة الحال لا يوجد أمان وضمان للإيخاء إلا ما تنتجه العقيدة الإسلامية من خلال التمسك والاهتداء بهدي عِدْل القرآن المجيد[٣١٨]، وهم الأئمة المعصومون، كما يوضح ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام في قوله: (فإلى من يفزع خلف هذه الأمة، وقد درست أعلام هذه الأمة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾[٣١٩] فمَنِ الموثوق به على إبلاغ الحجة، وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، الذين احتج بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة؟ وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا...)[٣٢٠].

وهكذا تكون ثمار العقيدة الإسلامية على المجتمع، فعندما يتحقق الإخاء بين أفراده تتحقق بالتالي الوحدة الاجتماعية النابعة من هذا الإخاء.

ففي التحذير من الفرقة يقول الإمام علي عليه السلام: (فإياكم والتلوُّن في دين الله فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وأن

الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى ولا ممن بقي)[٣٢١]، وحيث أن علياً عليه السلام عِدْل القرآن المجيد فهو يرى أن عقيدة الإنسان منطلق لوحدته الأخوية وجهله بها مدعاة للاختلاف والفرقة، ويعد الإمام عليه السلام أن ذلك الجهل من إفرازات خبث السريرة والنوايا والذي يقود إلى الفرقة والتشتت، فيقول عليه السلام: (وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر)[٣٢٢]؛ أي أن العدو إذا أراد أن يبث الفرقة في صفوفكم ويهيمن عليكم فإنما يستغل فساد باطنكم وعقيدتكم، ولو صلحت قلوبكم بالعقيدة لما كانت هنالك من فجوة يتسلل منها العدو لاختراق البنيان المرصوص للصف الإسلامي.

ثانياً: موالاة المؤمنين: الأخوة الإيمانية تدعو المؤمنين إلى شدة موالاة المؤمنين، وإلى التجرد من العلائق الأخرى، فنشأت هذه الإخوة عن إرادة حرة تستتبع إغناء المرء بها واتخاذه منها منهجاً يعبر عنها بالموالاة الفعلية للمؤمنين، فينشط للعمل معهم ومن أجلهم فهم كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٣٢٣]، أو في حديث آخر يصف النبي صلى الله عليه وآله هذه الموالاة بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[٣٢٤]، وكل هذا ثمرة من ثمرات التمسك بالعقيدة الإسلامية، إذ يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٣٢٥]. فنلحظ أن القرآن المجيد عبر عن المجتمع العقدي بصفة أنهم بعضهم أولياء بعض، لما تضفيه هذه العقيدة من ظلال على معتنقيها، في حين نلحظ أن القرآن الكريم عبَّر عن صفات غير أصحاب العقيدة الإسلامية بعضهم من بعض، وهو في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾[٣٢٦]، ولم يعبر عنهم بتعبير المؤمنين نفسه (بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ)، وذلك أن اللا منتمين (يفقدون روح المودة والولاية لبعضهم البعض، بل أنهم إذا شعروا في أي وقت بأن منافعهم ومصالحهم الشخصية قد تعرضت للخطر فلا مانع لديهم من خيانة حتى أصدقائهم فضلاً عن الغرباء)[٣٢٧]، وهؤلاء يصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾[٣٢٨]، فيراهم الناظر متفقين في الظاهر، إلا أن الحقيقة أن هذا المجتمع متزلزل الأواصر لفساد العقيدة التي يدينون بها وبالتالي ينعكس على حالهم لأدنى شدة أو بلاء أو فتنة، وذلك أنهم لم تثمر فيهم الموالاة الحقيقية التي أرادها الله تعالى في المجتمع العقائدي، ولهذا يرى ابن عاشور أن الآية تشير إلى أهمية الالتزام بالعقيدة الإسلامية لتنعكس ظلالها بالتالي على المجتمع وأن لا يكون كالمجتمع اللا منتمي، فيقول: (وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابر ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحها المشتركة، وإن اختلفت في خصوصياتها التي لا تنقض أصول مصالحها، ولا تفرق جامعتها، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال ولا التوافق على الأغراض إلا أن تكون الضمائر خالصة من الإحن والعداوات)[٣٢٩].

إذن الخلاف في الجزئيات في المجتمع الإيماني لا يفرق وحدتهم وموالاتهم ما كانوا على الأصل متفقين، وما كان دون ذلك فهو مجتمع إلى المجتمع اللا منتمي أقرب[٣٣٠]، من حيث بعده عن الإنتماء لعقيدة التوحيد، وتمثله للعصبية الجاهلية، وهو ما نلحظه أسفاً في واقع حياة المسلمين، إذ (أخذ بعضهم يكفر الآخر من غير حجة ولا بينة، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية

الجاهلية)[٣٣١]، ووصف بعض طوائف المسلمين بصفات عقدية من غير النظر إلى أصول هذه الطائفة وعقائدهم من مصادرها المعتبرة[٣٣٢]، مما يمزق النسيج الإسلامي، ويزرع التفرقة بينهم والعداوة، مع أن كبار العلماء يشددون على الموالاة بين المسلمين، فيقولون: (أن الخطأ في عدم التكفير أهون من الخطأ في التكفير)[٣٣٣].

وفي هذا المجال قال الذهبي(ت٧٤٨هـ): (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده، مع صحة إيمانه وتوخيه لأتباع الحق، أهدرناه وبدَّعناه، لقل من يسْلَمُ من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه)[٣٣٤].

وهذا ما نلمسه عند الشيخ جعفر السبحاني أيضاً إذ قال: (أن المسلمين في عالمنا الراهن يتفقون في الأصول الأساسية الثلاثة - التوحيد والنبوة والمعاد - فيلزم أن لا يكفر فريق فريقاً آخر لأن الكثير من الأصول المختلف فيها هي في الحقيقة من القضايا الكلامية التي طُرحت على بساط البحث والمناقشة بين المسلمين فيما بعد، ولكل فريق منهم أدلته وبراهينه فيها - ويضيف - وعلى هذا لا يمكن أن يتخذ الاختلاف في هذه المسائل وسيلة لتكفير هذه الفرقة، أو تلك أو ذريعة لتفسيق هذه الطائفة أو تلك، ولا سبباً لتفتيت وحدة المسلمين)[٣٣٥].

وقد: (اختلف الأئمة في بعض مسائل العقيدة، كما اختلفوا في بعض مسائل الفقه، ولم يكفر أو يفسق أو يبدع بعضهم بعضاً، لأنهم قد عرفوا من أحوال مخالفيهم أنهم كانوا مجتهدين في طلب الحقيقة، وأن ما قالوه هو أحسن ما يقدرون ووصل إدراكهم إليه)[٣٣٦].

ثالثاً: المساواة: الناس في المجتمع الإسلامي سواسية في مبدأ إنسانيتهم، لأنهم يصدرون في الخلق من أصل واحد وهم سواسية في مقام

العبودية لله تعالى، فلا فضل لأحد منهم على أحد من حيث جوهر وجودهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[٣٣٧]. يقول السيد الطباطبائي: (يريد دعوتهم إلى تقوى ربهم في أمر أنفسهم وهم ناس متحدون في الحقيقة الإنسانية من غير اختلاف فيها بين الرجل منهم والمرأة والصغير والكبير والعاجز والقوي حتى لا يجحف الرجل منهم بالمرأة ولا يظلم كبيرهم الصغير في مجتمعهم الذي هداهم الله إليه لتتميم سعادتهم والقوانين المعمولة بينهم التي ألهمهم إياها لتسهيل طريق حياتهم، وحفظ وجودهم وبقائهم فرادى ومجتمعين)[٣٣٨].

وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري واللغوي والمحلي والعشائري وما شابه ذلك، مما يسبب في عالمنا الراهن آلافاً من المشاكل في المجتمعات اللا منتمية إلى عقيدة التوحيد، ولا مجال لهذه الأمور وما يترتب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوق الموهوم في مجتمع العقيدة الإسلامية، فهذه العقيدة كما تقدم لا تنظر إلى مظاهر هذا الزخرف بل هي ناظرة إلى المجتمع بما يعمل للقرب إلى الله سبحانه، لأن البشر كافة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة.

وبهذا بَنت العقيدة الإسلامية المجتمع على المساواة بين أفراده على أسس العلاقات الإنسانية بين البشر مجردة بذلك كل الامتيازات الدخيلة على جوهر الإنسان الفرد إلا ما كسب من التقوى وحسب، وهذه ثمرة مهمة في بناء المجتمع العقائدي. فتسمو روح التكافؤ والاستواء بين المؤمنين وتظل مركوزة في وجدانهم مستصحبة في معاملاتهم سائدة في حياتهم اليومية، بل أن معايير الترجيح بين الأفراد لتقدير درجة الفضل يكون لها أثر مهم في إشاعة المساواة والوئام، لأنها ترمز إلى مجالات التنافس المعتبرة في المجتمع المؤمن، فإذا توجه

المؤمنون إلى التسابق فيها عَظموا قدر العلم والصلاح والتقوى، وزهدوا في المنافسات الشرسة على المال والجاه وسائر متاع الدنيا، الذي يفرق بين الناس ويوغر صدورهم بالحقد، ويخرب حياتهم بالشقاق.

وأخيراً فإن كل هذه الأمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها أو أن يدركها وحده، من غير أن تأخذ بيده عناية الله وأديانه وكتبه، لأن إدراك العقل وحده إدراك بصعوبة شديدة ومعاناة هائلة وكثيراً ما يضل فيرى الخير شراً والشر خيراً والنافع ضاراً والضار نافعاً، وأقرب شاهد على ذلك ما نراه في عصرنا الحاضر الذي توهم أهله أنهم وصلوا إلى أعلى درجات الحضارة والتمدن، وهاهم يتخبطون في الظلمات وكلّما حلوا مشكلة وقعوا في مشكلات، ولا نحتاج إلى معرفة ما يتخبط به العالم شرقاً وغرباً بأكثر من مطالعة سطور من جريدة يومية، أو سماع نشرة إخبارية في المذياع أو التلفاز، ولن يزالوا كذلك بل سيزدادون ظلمة وانتكاساً ماداموا يعتمدون على عقولهم ونظريات بشر مثلهم حتى يرجعوا إلى الله سبحانه وإلى عقيدة التوحيد(٣٣٩)، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٣٤٠).

نعم (أن للاستقرار النفسي ثمناً لابد من تحمل تبعاته ألا وهو الإيمان فإذا كان لابد من الوصول إلى شاطئ السعادة والاستقرار فلا مندوحة من اعتناق مبادىء السماء التي تشيع في أرجاء النفس هدوءاً ومحبة، وتترع الأعماق راحة وهناء)(٣٤١)، فهذا هو الإيمان الذي يثمر من قيم تربط بين مفصلي العقيدة والقانون، مراعياً الدنيا والآخرة، والروح والمادة.

ونظراً لهذه الأهمية فللإيمان بالغيب أثر بالغ في النفوس وأهمية كبيرة في بناء الإنسان على مرِّ العصور، بل كلما تقدم العصر بنا لحظنا أهمية هذا الاحتياج، وذلك أنه كلما ابتعدنا عنه ضعفت الفطرة وضوت وتمرضت، وذلك لاتصال الإيمان العقدي بالفطرة الإنسانية فـ(إذا كان الإيمان بالغيب

أصلاً من أصول الفطرة الإنسانية السوية فإنه في عصر التقدم وفي عصر المدنية المعاصرة أشد طلباً وأعظم خطراً في حياة وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع يصيبها من أدواء تتولد يوماً بعد يوم)[٣٤٢].

وقد بدأ بعض (علماء النفس الغربيين المحدثين يدركون أخيراً أهمية الإيمان بالله تعالى في صحة الإنسان النفسية، إذ أنه يمده بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتساعده على التخلص من القلق والمرض النفسي)[٣٤٣]، وهذا يعني أن البشرية اليوم في حاجة ماسة إلى الإيمان وليس المسلمين وحسب في حاجة إلى هذا الإيمان واستحضاره في حركاتهم وسكونهم.

فعلى المتصدين لتحقيق البناء الاعتقادي - من خطباء ودعاة - أن يلتفتوا إلى أمور ترسخ هذه العقيدة في النفوس لكي تأتي أُكلها، ومنها:

١- تنمية الإيمان الحي النابض بالحيوية والعمل بموجبه.

٢- استعمال الأدلة البديهية الفطرية للإقناع والاقتناع.

٣- استعمال الحقائق والمكتشفات العلميّة الحديثة للإقناع.

٤- تكوين عاطفة إيمانية قوية دافعة إلى السلوك.

٥- تكوين الإيمان القائم على العلم بصدق الوحي والقرآن وبكل ما يجب الإيمان به.

٦- التبصر بوسائل الملحدين في نشر الإلحاد ودحض حججهم.

٧- التركيز على جوانب العقيدة الإسلامية الايجابية والمؤثرة على السلوكيات، وذلك مثل بيان صفات الله تعالى التي تصور الله في حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه وتسجل الملائكة ما له وما عليه سواء كان ذلك صغيراً أو كبيراً ولا يفارقون مراقبته في السر والعلن.

٨- تدريب الإنسان على طريقة التأمل في مخلوقات الله تعالى وعلى ذكر الله كلما رأوا آية أو شعروا بنعمة من نعم الله على خلقه.

وعلى كل حال فإن أصول الدين (تمثل على الصعيد العقائدي جوهر الإسلام والمحتوى الأساسي لرسالة السماء، وهي في الوقت نفسه تمثل - أوجهها الاجتماعية على صعيد الثورة الاجتماعية التي قادها الأنبياء - الصورة المتكاملة لأسس هذه الثورة، وترسم للمسيرة البشرية معالم خلافتها العامة على الأرض)(٣٤٤)، فلا ينبغي أن (تكون مرحلة بناء العقيدة مرحلة دراسية نظرية للعقيدة؛ ولكن مرحلة ترجمة لهذه العقيدة في صورة حية، متمثلة في ضمائر متكيفة بهذه العقيدة)(٣٤٥)، وبالتالي فإن أي (بنيان على غير عقيدة - الإسلام - فهو بنيان على الرمال، يوشك أن ينهار، وأسوأ منه أن يُراد بناء مجتمع ينتمي إلى الإسلام على غير عقيدة الإسلام وأن كتب عليه - زوراً - اسم الإسلام، إنه غش في المواد الأساسية للبناء، لا يلبث أن يسقط البناء كله على من فيه)(٣٤٦).

وهكذا تتضح أهمية العقيدة الإسلامية وإسهامها في بناء شخصية الإنسان المسلم وكيانه وفكره بناءً شامخاً ومؤثراً، ولا يمكن أن نتصور عقيدة تؤدي دورها الكبير في صياغة الإنسان صياغة قرآنية لا مثيل لها إلا فيها ومن خلالها.

الخاتمة:-

بعد هذا التجوال في معالم المنظور القرآني في بناء الإنسان، تبين الآتي:

أولاً: الإنسان، هو موضوع القرآن الكريم، مثلما هو موضوع الفلسفة، وعلم النفس، والتربية، والسياسة، والاجتماع، والفن، ومن ثم فإن أي نشاط إنساني غايته هو الإنسان وهدفه ووسيلته، وكان الإنسان كما قيل عالماً صغيراً انطوى فيه العالم الأكبر، ولكن تبقى نظرة

القرآن الكريم تتمتع بمزية الشمولية والكلية والمنطقية والمنهجية.

ثانياً: أتاح المنظور القرآني للعقل في ميدان العقيدة مجالاً فسيحاً وباعاً طويلاً، فلا إيمان بأي أصل من أصول الدين بلا قناعة عقلية واعتقاد راسخ نابع عن تفكر بالعقل وتأمله وإدراكه.وبالتالي فإنَّ العقلانية الإسلامية عقلانية علميّة قائمة على استعمال العقل والحجة والبرهان والوعي بعيداً عن الدوغمائية والخرافة والعاطفة المحضة والأسطورة.

ثالثاً: المنظور القرآني - في مجال البناء الاعتقادي - لا يرى صحة العقيدة إلا إذا جاءت وليدة تفكير حر وثمرة اقتناع.

رابعاً: تدرج المنظور القرآني في علاج العقائد الفاسدة، وفي تثبيت العقائد الصحيحة، وما كان ذلك إلا لبيان ما اتصف به القرآن المجيد من القدرة على التأثير البالغ في النفس البشرية.

خامساً: تكمن أهمية الأدلة القرآنية على التمسك بالعقيدة الإسلامية بوجه الخصوص في أنّ شعور الإنسان بخالقه ومالكه وربه شعور قديم لا ينفك عن الإنسان.

سادساً: أرسى المنظور القرآني مبدأ النهي عن ممارسة الإكراه، وبهذا تمكنت العقيدة من بناء أول مجتمع إنساني أقام حضارته على مشروعية التعدد، على الرغم من أفضلية دين الإسلام فكراً وعقيدة.

سابعاً: للقرآن الكريم منهجٌ علميٌّ يُساعد الإنسان على بناء ذاته، والارتقاء بها في مرضات الله تعالى، وإرشاده إلى ما يحقق الضبط الداخلي لنفسه ضد الانحرافات العقدية، فحارب الجهل، والتقليد،

والتكذيب، والاستهزاء، ووسواس الشيطان.

ثامناً: وقبال معالجة موانع بناء العقيدة السليمة في نفس الإنسان، استعمل المنظور القرآني أساليب في بناء العقيدة ومنها الاستدلال بدليل الفطرة الذي يعد أصلاً لكل الأدلة الأخرى التي تثبت التوحيد.

تاسعاً: إن صلاح فطرة الإنسان وبناءها يؤدي إلى إصلاح وبناء كل ما يحيط به من مشكلات أخرى.

عاشراً: أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوبان قرآنيان لهما دافعان لعمل الخير وترك الشر، فلا يمكن أن يتحقق البناء العقدي للإنسان ما لم يعرف الإنسان إن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله أو سلوكه.

حادي عشر: لحظنا أن مرامي الآيات الكونية أبعد من التأصيل العلمي، فهي وسيلة جاءت لترسيخ الآيات من خلال السياق العلمي الذي تتبناه معظم العقول البشرية لأنه من باب الإقناع الحسي والتجريبي.

ثاني عشر: للعقيدة الإسلامية ثمار تمثلت في حياة الإنسان اليومية، فهي تطبع معتنقيها على حب الحرية والاستقلال، تبعث فيهم الطمأنينة والسكينة والثقة بالنفس، وهذا أجلى وأعز على يقظة الضمير ومراقبة الله تعالى في كل ما يعمله أو يقوله أو يفكر به، وكذا نجد ان الإنسان ذا العقيدة الإيمانية ذو عزة وثبات وهو في أشد ما يكون من تكالب قوى الشر الخارجية والاستكبار عليه.

ثالث عشر: وعلى صعيد ثمار هذا البناء على الإنسان في الجماعة (المجتمع) لحظنا ثماره في الوحدة والإخاء، وإن الإخوة الإيمانية في

المنظور القرآني جزء لا يتجزّأ في العقيدة الإسلامية؛ والموالاة بين أفراده تغنيهم من اتخاذ أي منهج آخر كالعنصرية والعشائرية والقومية التي سببت وما تزال آلافاً من المشكلات في المجتمعات اللامنتمية.

Abstract

Praise be to Allah, and peace and blessings on Muhammad and pure.

The deserving GOES determination to take care of things is the Quran Majeed,

Has Successive generations to care for him, after that concerned minds and hearts as it raced toward him pens, colorful minded to reveal truths and secrets.

Put God to man in the Holy assets Etiquette, Morals and Science in life and meeting, and enact his ways lead to success in this life and the afterlife that pursued and walked inspired him, and while he came the Koran mentions the goal of the creation and purpose of life and the goals the Lord Almighty to create assets did not neglect indicate the means and methods, techniques and ways to achieve it and access it Meditator if humanity today sees wandering in to rely on referring to laws that do not merely a result of experiments generations over the years and years, fell from a lot, and some teetering muezzin fall will settle humanity, not to rest whatever put her laws and enact her Canons, unless I got to know the Koran and understood true understanding as revealed by God} and understanding of His Messenger (r) and the members of his household infallible (p).

The reason for my selection of the subject is: The reality in which we live today and painful reality, because we live in a world where no human is full of a lot of the curriculum Quran in

his life, with the Quran Majeed included in it the minutes of what the human needs

The researcher had relied on a variety of books, is consistent with the nature of the subject, with the building on the books of interpretation, compliance with the title search. Plan: To achieve the objectives and the reasons for selecting the topic, it was research including the introduction and pave and five sections and a conclusion.

Boot, including the definition of the term faith in language and terminology
First topic:'s handling obstacles and areas creed building:
The second topic: innate protection construction method:
The third topic: the carrot and stick method to build faith:
Section IV: A method of cosmic verses
Section V: The Impact of the correct belief (monotheism) in building rights:

And was eventually mention the most important findings of the researcher of the results, followed proved the most important sources and references that did not Odhan research. Conclusion: I do not pretend that I reached goal in this research

هوامش البحث

(١) سورة مريم، الآية٥٩. فـ(القرآن لم يقل تركوا الصلاة، بل أضاعوا الصلاة، وهذا يشمل بالإضافة إلى معنى ترك الصلاة معنى آخر وهو تحويل الصلاة إلى هيئة فارغة لا محتوى فيها، ففسدت حياتهم..)، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٥/١٥٠.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٥. أي (الهداية المعرفة بطريق الرشاد من الغي، فكل هداية قائدة إلى سلوك طريق النجاة بدلاً من طريق الهلاك)، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥/٣٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٨. أي (ما فرط - الله سبحانه - في الكتاب من شئ إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٦٨، ظ: ويقول ناصر مكارم الشيرازي: (فالقرآن لم يترك شيئاً تربوياً إلا وذكره بين دفتيه)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/١٩٠.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٤٣. أي (ينقاد له ويتبعه في جميع ما يدعو إليه.. وذلك نهاية الجهل، لأن ما يدعو إليه الهوى باطل، وإلاله حقّ يعظّم بما لا شئ أعظم منه)، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٤٠٠/٧.

(٥) سورة النحل، الآية ٦٠. (أي صفة السوء من الجهل والكفر)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١٢/٦.

(٦) عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص٢٥، ظ: د. محمد رواس قلعه جي، طرق البحث في الدراسات الإسلامية، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٨.

(٧) د. محمد رواس قلعه جي، طرق البحث في الدراسات الإسلامية، ص١٩، ظ: صالح عبد الرحمن وآخرون، المرشد في كتابة الأبحاث التربوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٣.

(٨) صالح عبد الرحمن وآخرون، المرشد في كتابة الأبحاث التربوية، ص٤٣، الجرجاني (ت٨١٦هـ) الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٩.

(٩) سورة النساء، الآية ٨٢. يقول ابن عاشور: أي(اختلاف بعضه مع بعض، أي اضطرابه)، التحرير والتنوير، ٢٠٠/٤.

(١٠) يقول المستشرق الفرنسي م. غودفروا: (أن العقيدة الإسلامية التي نجد مبادئها في القرآن قد تكونت في عدة عصور على يد علماء المسلمين في صور فتاوٍ تعتبر بمثابة أجوبة على مسائل آلية تحدث بين الفينة والفينة للجماعة الإسلامية، وهذه الفتاوى لا تخرج عما جاء به القرآن والسنة، وهي مع ذلك لا تخلو من اختيار ناتج عن الاجتهاد الشخصي (الرأي) من اجل تفسير قضية او حكم عليها، وهكذا لا يستغرب أن تكون العقائد المتأتية من هذه الأحكام تختلف الواحد منها عن الآخر بحسب زمانها وبحسب الميول الشخصي للقائلين بها)، النظم الإسلامية، ترجمة: د. فيصل السامر وآخر، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦١م، ص٥٥.

(١١) الميزان في تفسير القرآن، ٦/١٥.

(١٢) الشهرستأني، نقلاً عن الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣٢/١٠.

(١٣) لؤي صافي، العقيدة والسياسة، المعهد العالمي للفكر السياسي، أمريكا، ١٩٩٦م، ص٥١.

(١٤) عز الدين التميمي وآخر، نظرات في التربية الإسلامية، دار النشر للنشر، عمان، ١٩٨٥م، ص١٣٠.

(١٥) حامد احمد الطاهر البسيوني، الوصايا النبوية، دار الفجر، ٢٠٠٥م، ص٣٩.

(١٦) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٩/٣، الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت، ١٥/٥، الفيومي، المصباح المنير، ٢٦٩.

(١٧) سورة النساء، الآية ٣٣.
(١٨) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب،٦٨/١٠، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٩٨/٤.
(١٩) سورة المائدة، الآية ٨٩.
(٢٠) سورة المائدة، الآية ١.
(٢١) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٦٣٥/١، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م، ١٧٧/٢.
(٢٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٥.
(٢٣) ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٣٥٧/٢، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢١٦/٢.
(٢٤) سورة الفلق، الآية ٤،
(٢٥) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣٧٠/١٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢، ١٧٩.
(٢٦) ظ: الجرجاني، التعريفات، ص١٢٤.
(٢٧) ظ: محمد بن محمد البارني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الكويت، ١٩٨٩م، ص٢٣.
(٢٨) ظ: محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، بيروت، ص٢٢.
(٢٩) حسن البنا، العقائد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، ١٩٨٤م، ص٥.
(٣٠) د. نسيم ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية، مكتبة دار المنارة، ط٤، ٢٠٠٥م، ص٤، ظ: د. ناصر العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن للنشر، ١٤١١هـ، ص٥.
(٣١) سورة الأعراف، ١٣٨.
(٣٢) مجمع البيان، ٢٥٠/٤، ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٤٨٣/٤.
(٣٣) تفسير المنار، ٩٩/٩.
(٣٤) سورة الأعراف، ١٣٨.
(٣٥) احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام احمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩، ٢٢٦/٣٦، ظ: الترمذي محمد بن عيسى السلمي (٢٠٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤٧٥/٤.
(٣٦) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤/٤.
(٣٧) سورة الزمر، ٦٤.
(٣٨) في ظلال القرآن، ٤٠٦١/٥.
(٣٩) للتوسعة: ظ: محمد ناصر الدين الالباني، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
(٤٠) الجامع لاحكام القرآن، ٤١/٢.

(٤١) البيان في تفسير القرآن، ص٥٠١. وفي رد السيد الخوئي للفريات الأخرى على الشيعة الإمامية ظ: ص٥٠٣.
(٤٢) سورة الأنعام، ١٠٠.
(٤٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٥٩/٧.
(٤٤) سورة الزخرف، ٥٤.
(٤٥) في ظلال القرآن، ٣١٩٤/٥.
(٤٦) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١٠٦، ظ: لنفس المؤلف، السنن التاريخية في القرآن، ص٨٩.
(٤٧) سورة الرعد، ١١.
(٤٨) سورة البقرة، ١١٨.
(٤٩) الميزان في تفسير القرآن، ٢٢١/١.
(٥٠) سورة البقرة، ٥٥.
(٥١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٩١/١.
(٥٢) سورة الفرقان، ٢١.
(٥٣) القاسمي، محاسن التأويل، ٣٠٦٨/٧.
(٥٤) ظ: على سبيل المثال: سورة البقرة، ١٧٠، سورة المائدة، ١٠٤،٧٧، سورة لقمان، ٢١،..
(٥٥) سورة الزخرف، ٢٢.
(٥٦) سورة ابراهيم، ١١، وبنفس المعنى، ظ: سورة التغابن، ٦، سورة هود، ٢٧، سورة المؤمنون، ٢٤،...
(٥٧) الطبرسي، مجمع البيان، ٤٨/٦.
(٥٨) مفاتيح الغيب، ٨٦/١٩.
(٥٩) نقلاً عن: روجيه غارودي، ماركسية القرن العشرين، ترجمة: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط٤، ١٩٧٨، ص١٤٥.
(٦٠) في ظلال القرآن، ١١٤٥/٢.
(٦١) اقتصادنا، ١١٨/١.
(٦٢) ظ: محمد باقر الصدر، المرسل الرسول الرسالة، ص١٠٣.
(٦٣) للتوسعة في هذه الأسباب، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٥/٨.
(٦٤) سورة الحجر، ١٠-١١، وظ: في هذا المعنى، سورة يس، ٣٠، سورة سبأ، ٩،...
(٦٥) الميزان في تفسير القرآن، ١١٣/١٢.

(٦٦) سورة الدخان، ١٤.
(٦٧) ظ: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٠، ص٦٧، فدا حسين حلمي، الوحي بين النبوغ الذاتي والتسديد الإلهي المباشر(رسالة ماجستير في جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية)، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم، ١٤٣١هـ، ص١١٦.
(٦٨) سورة ابراهيم، ١٣
(٦٩) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٤١/٧.
(٧٠) سورة الأعراف، ٨٨.
(٧١) سورة النمل، ٥٦.
(٧٢) سورة الإسراء، ٧٦.
(٧٣) التحرير والتنوير، ١٤١/١٤.
(٧٤) وكان من اللبث القليل أن قتل من صناديد الكفار في معركة بدر، ولم يحدث الاستئصال لهم جميعاً، لأن النبي صلى الله عليه وآله خرج مهاجراً بأمر ربه، أملاً باعقابهم ومن يهرب منهم من المعركة، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦، الآلوسي، روح المعاني، ١٦٦/١٥.
(٧٥) ظ: سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص٣٢٨.
(٧٦) خالد عبد الرحمن العك، معالم النبوة في الكتاب والسنة، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٥، ص١٠١.
(٧٧) وسمو هؤلاء بـ(الدهرية)،
(٧٨) سورة الدخان، ٣٤-٣٥.
(٧٩) الطبرسي، مجمع البيان، ٩٤/٩، ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٠٦/٩.
(٨٠) سورة النساء، ١٣٦.
(٨١) الميزان في تفسير القرآن، ٩٩/٥.
(٨٢) سورة الأنعام، ٢٩-٣٠.
(٨٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠٧١/٢.
(٨٤) سورة المؤمنون، ٨١-٨٣.
(٨٥) التحرير والتنوير، ١٠٨/١٨.
(٨٦) سورة الشعراء، ١٢٣.
(٨٧) سورة الشعراء، ١٣٦-١٣٨.
(٨٨) روح المعاني، ١٥٠/١٩.

(٨٩) سورة مريم، ٦٦.
(٩٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٤٦/٩، ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠٦/٢١.
(٩١) سورة مريم، ٦٧.
(٩٢) سعيد حوى، الإسلام، ص٧٨٣.
(٩٣) سورة الواقعة، ٤٨.
(٩٤) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٥٨/٦.
(٩٥) سورة الكهف، ٣٦.
(٩٦) وقيل نزلت بالمغيرة بن شعبة، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣٣٥/٦، الآلوسي، روح المعاني، ٥٩١/١٦.
(٩٧) سورة مريم، ٧٧.
(٩٨) سورة النحل، ٣٥.
(٩٩) الميزان في تفسير القرآن، ٢٠٥/١٢، ويرى الرازي أن هذه الآية دالة على الجبر ظ:مفاتيح الغيب، ٢٤/٢٠، ويقول الزمخشري: (وهذا مذهب المجبرة بعينه)، الكشاف، ٥٦٤/٢.
(١٠٠) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٤١/٦.
(١٠١) مؤيد العبيدي، الدوافع السياسية وآراء نشوء المذاهب والفرق ومواجهة الإمام الصادق لها (المرجئة نموذجاً)، بحث ضمن: دراسات وبحوث مؤتمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مركز الطباعة زالنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ، ص٣٠١.
(١٠٢) سورة الزمر، ٤٢.
(١٠٣) ابن عساكر(ت٥٧١)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ٣٦٧/٤١، المجلسي، بحار الأنوار، ١١٧/٤٥.
(١٠٤) ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ٢٠٠٠م، ٨١/٣، و ظ: أحمد محمد الوزّة، علاقة القضاء والقدر في افعال البشر، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٢٦.
(١٠٥) سورة الأنعام، ١٤٨.
(١٠٦) التحرير والتنوير، ١١١/٧.
(١٠٧) سورة الأعراف، ١٦.
(١٠٨) الكليني، الكافي، ١٥٥/١.
(١٠٩) سورة المائدة، ٩٠.
(١١٠) ظ: الرازي: مفاتيح الغيب، ٦٧/١٢.
(١١١) سورة النساء، ١١٦.

(١١٢) سورة النساء، ١١٧.
(١١٣) الكليني، الكافي، ٦/٤٣٤.
(١١٤) سورة النساء، ١١٨.
(١١٥) للتوسعة ظ: محمد الميسر،عبدة الشيطان في البيان القرآني والتأريخ الإنساني،دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٩هـ، ص٣٧.
(١١٦) حسن الشرقاوي:نحو علم نفس إسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤،ص٩٥.
(١١٧) محمد خليفة: الاستعاذة في القرآن الكريم، مجلة الأزهر، مصر العدد (٥)، مارس، ١٩٨٣، ص١٦١.
(١١٨) سورة فصلت، ٣٠، وبنفس المعنى ظ: سورة الأنفال، ١٢.
(١١٩) الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٧/١٧، في حين يرى الآلوسي الإطلاق في الآية ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وهو شاهده، ظ: روح المعاني،٥١٠/٢٤، والسيد الطباطبائي يرى أن التنزل بهذه البشرى عليهم هو بعد الحياة وشاهده قول الملائكة: ﴿الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وأن شاهده هو المقطع الأخير من الآية والباحث لا يلتمس فرقاً واسعاً، ويميل إلى ما ثبته في المتن.
(١٢٠) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص٥٠٧.
(١٢١) ظ: الطبري، جامع البيان، ٢١١/٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٥٤/٣.
(١٢٢) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٨٢.
(١٢٣) كتاب التعريفات، ص ١٣٧.
(١٢٤) البخاري، صحيح البخاري، ٩٨/٢، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (وجابل القلوب على فطرتها)، شرح نهج البلاغة،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٥، ١٣٨/٦.
(١٢٥) ظ: الرازي، ١٢/٦، في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة البقرة،٢١٣.
(١٢٦) سورة ص، ٧٢.
(١٢٧) سورة الأعراف، ١٧٢.
(١٢٨) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩٦/٥، وللتوسعة في هذه الآراء ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٧/٥، الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٩/١٥، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٨١/٤، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٦٥/٨، وأمّا الشريف المرتضى فقد نفاه، ظ: أمالي المرتضى، ٢٨/١.
(١٢٩) مجمع البيان، ٢٨٢/٤.
(١٣٠) الزمخشري، الكشاف، ١٦٦/٢.

(١٣١)عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٢.
(١٣٢) رسالتنا، مطبوعات مكتبة النجاح، طهران، ط٣، ١٩٨٢م، ص ١٠٣.
(١٣٣) ظ: اقتصادنا، ١٣٩١/١.
(١٣٤) في ظلال القرآن، ١٣٩١/٣.
(١٣٥) سورة الروم، ٣٠.
(١٣٦) الميزان في تفسير القرآن، ١٦ / ١٥٤.
(١٣٧) سورة الأعلى، ٣،٢.
(١٣٨) سورة طه، ٥٠.
(١٣٩) ظ: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٢/١٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٨/٢٢.
(١٤٠) الوحي المحمدي، ص ١٥٩.
(١٤١) سورة إبراهيم، ١٠.
(١٤٢) الميزان، ٢٢/١٢، ظ: الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، تحقيق: الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص١٢٤.
(١٤٣) عباس القمي، مفاتيح الجنان، مؤسسة مظلوم للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩م، ص٩٣
(١٤٤) سورة النور، ٣٥.
(١٤٥) سورة الشورى، ١١.
(١٤٦) سورة الأنعام، ١٠٣.
(١٤٧) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٩٠.
(١٤٨) واقعنا المعاصر، ص ١٧٣.
(١٤٩) محمد عبد الرحمن الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص١٣٠.
(١٥٠) صالح بن يحيى الزهراني، قيم السلام في كتب التفسير والحديث، دار الرياض، ١٤٢٥هـ، ص٥٩.
(١٥١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص٢٩٤.
(١٥٢) المصدر نفسه، ص٢٥٧، حسب تتبع الباحث لم يجد تعريف الترغيب في المراجع القديمة.
(١٥٣) سورة النحل، ٩٧.
(١٥٤) الطوسي، الأمالي، ٢٤٧/١.

(١٥٥) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٤٢٣/٢.
(١٥٦) سورة الأنعام، ٨٢.
(١٥٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٤٧/٤.
(١٥٨) سورة الأعراف، ٩٦.
(١٥٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٧١/٨.
(١٦٠) ظ: سعيد جبار، الإقناع في التربية الإسلامية، دار الأندلس، جدة، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٢٥.
(١٦١) في ظلال القرآن، ١٨٤٦/٤.
(١٦٢) سورة التغابن، ١١.
(١٦٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٥٨٨/٦.
(١٦٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٥١/٢٨.
(١٦٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٣/٤٤.
(١٦٦) سورة آل عمران، ١٧٩.
(١٦٧) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، ٢٧٧/٧.
(١٦٨) سورة آل عمران، ١٧٣.
(١٦٩) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٦٦/٢.
(١٧٠) سورة آل عمران، ١٧٤.
(١٧١) الآلوسي، روح المعاني، ٤/ ٤٦٣.
(١٧٢) سورة النحل، ٩٧.
(١٧٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٣٤/٨
(١٧٤) سورة المجادلة ، ص ١١
(١٧٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/ ٣٥١٢.
(١٧٦) سورة النور، ٥٥.
(١٧٧) ظ: د. عبد الغني محمد سعيد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية (بلاغة ومنهجاً)، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٣٦، الزمخشري، الكشاف، ٢٥٥/٣.
(١٧٨) ظ: الإسلام يقود الحياة، مطبعة الديواني، العراق، ط٢، ٢٠٠٣م، ص١٦١.
(١٧٩) المصدر نفسه، ص١٧٠.
(١٨٠) سورة البقرة، ٢٥.
(١٨١) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢١/٢.
(١٨٢) سورة ابراهيم، ٢٢.
(١٨٣) الآلوسي، روح المعاني، ١٣/ ٢٦١.

(١٨٤) سورة الزمر، ٧٤.
(١٨٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٥/ ١٢٦.
(١٨٦) سورة لقمان، ١٣.
(١٨٧) التحرير والتنوير، ٢١/ ١٠١.
(١٨٨) سورة الصافات، ١١٣.
(١٨٩) ظ: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٤٦٨/٣.
(١٩٠) سورة الزمر، ٦٥.
(١٩١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٠٦١/٥.
(١٩٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٥/ ١٠٨.
(١٩٣) سورة المائدة، ٧٢.
(١٩٤) وهذه النظرية تعني: اندماج الطبيعة الإنسانية في الطبيعة الإلهية حتى تصير حقيقة واحدة، وإذا كانت الذات الإنسانية هي التي تصعد إلى الذات الإلهية وتندمج فيها، ففي حالة الحلول يحدث العكس، تنزل الذات الإلهية لتحلّ في المخلوق، ويصبحا حقيقة واحدة. ظ: د. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥٢م، ص٣٨٠،
(١٩٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/ ٧٦.
(١٩٦) سورة النساء، ٤٨.
(١٩٧) الميزان في تفسير القرآن، ٤/ ٣٢٣.
(١٩٨) سورة التوبة، ٣.
(١٩٩) أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد، لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك، فأرسل علياً، فرجع أبو بكر..)، الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٢٣١، ظ: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٤٥٧/١.
(٢٠٠) سورة التوبة، ٣.
(٢٠١) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/٥.
(٢٠٢) سورة التوبة، ٢٨..
(٢٠٣) ظ: الفيومي، المصباح المنير، ص٥٩٤.
(٢٠٤) ظ: الجصاص، أحكام القرآن، ١١٤/٣، وللتوسعة في أحكام أهل الذمة، ظ: علي السعيدي، أحكام أهل الكتاب في الإسلام، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ١٤٢٧هـ، ص١١٣.
(٢٠٥) كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: محمد باقر شريف زاده، المكتبة المرتضوية، طهران، ط٤، ١٣٦٩هـ ش، ٤٦/١، وعُد الكافر ضمن الأعيان النجسة وتعريفه: (هو من لم ينتحل ديناً، أو أنتحل ديناً غير الإسلام أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنه من الدين الإسلامي بحيث رجع

جحده إلى إنكار الرسالة ولو في الجملة بأن يرجع إلى تكذيب النبي ﷺ في بعض ما بلغه عن الله تعالى في العقائد، كالمعاد...)، السيد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين (العبادات)، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ١٣٩/١.

(٢٠٦) باقر الإيرواني: دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، دار الفقه للطباعة والنشر، إيران، ط٣، ١٤٢٨هـ، ٩٧/١. وكذا ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٠٤/٥.

(٢٠٧) سورة التوبة، ٥.

(٢٠٨) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٣٢/٩.

(٢٠٩) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٨٠/١٥.

(٢١٠) مجمع البيان، ١٣/٥.

(٢١١) ظ: محمد كاظم حسين، أهل الذمة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة كلية القانون، جامعة القادسية، العدد١، المجلد٤، ٢٠١١م، ص٢٣٧.

(٢١٢) سورة الأحزاب، ٧٣.

(٢١٣) سورة طه، ١٢٤-١٢٦.

(٢١٤) ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٢٦٤/١٦، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٨٠/٧.

(٢١٥) سورة آل عمران، ٩١.

(٢١٦) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٦١/٢.

(٢١٧) سورة الهمزة، ٤-٨.

(٢١٨) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٥٤/٢.

(٢١٩) الزمخشري، الكشاف، ٨٠٢/٤.

(٢٢٠) أحمد فائز، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ٣١١/١.

(٢٢١) سورة فصلت، ٤٦.

(٢٢٢) ظ: د. عبد الكريم زيدأن، اصول الدعوة، ص٤٣٧.

(٢٢٣) الإنسان والدين، ترجمة: عبد الرحيم الحمراني، مؤسسة التأريخ العربي، النجف الاشرف، ٢٠٠٩، ص٣٣.

(٢٢٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢١٠٧/٤.

(٢٢٥) حنفي احمد، التفسير العلمي للآيات الكونية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص٣٠.

(٢٢٦) النظام التربوي في الإسلام، ص٢٠٦.

(٢٢٧) ظ: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة:الدوداش عبد المجيد،دار التربية للنشر، ص٢٢.
(٢٢٨) سورة العنكبوت، ٢٠.
(٢٢٩) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٦٤/١٢، ظ: القاسمي، محاسن التأويل، ٣١٩٦/٨.
(٢٣٠) سورة الواقعة، ٥٧-٦١.
(٢٣١) هاشم معروف الحسني، صور مشرقة من وحي الإسلام، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣.
(٢٣٢) ظ: كتاب التوحيد، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، ٢٠٠٢م، ١٤٠/١.
(٢٣٣) طبع في مصر، سنة ١٢٧٩هـ.
(٢٣٤) طبع في مصر، سنة، ١٣١٥هـ.
(٢٣٥) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وأم القرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص٢٢.
(٢٣٦) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص ٢٢.
(٢٣٧) صورة مشرقة من وحي الإسلام، ص٢٢.
(٢٣٨) المازندراني محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، شرح اصول الكافي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ٨٣/٣.
(٢٣٩) سورة الأنعام: ١.
(٢٤٠) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢٣/١٢.
(٢٤١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٧/٧.
(٢٤٢) الميزان في تفسير القرآن، ٨/٧.
(٢٤٣) د. كاصد ياسر الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م، ص٢٤٤.
(٢٤٤) سورة آل عمران، ١٩١.
(٢٤٥) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، ٢٩١/٧، ظ: محمد اليزدي، أسس الإيمان في القرآن، للناشر: نداء المهدي، قم، ١٣٧٦هـ ش، ص٨٣.
(٢٤٦) د. كاصد ياسر الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص٢٤٤.
(٢٤٧) دور الدين في حياة الإنسان، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢، ص١٣٥.
(٢٤٨) سورة يوسف، ١٠٥.
(٢٤٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٢٤/٧.

(٢٥٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٩٠/٤.
(٢٥١) سورة الرعد، ٢.
(٢٥٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٠٤٤/٤.
(٢٥٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٣٠/٨.
(٢٥٤) سورة يس، ٤٠.
(٢٥٥) سورة يس، ٨٢.
(٢٥٦) محمد مهدي الآصفي، دور الدين في حياة الإنسان، ص١٥٠.
(٢٥٧) سورة الرعد، ١.
(٢٥٨) الميزان في تفسير القرآن، ٢٤٨/١١.
(٢٥٩) سورة يونس، ١٠١.
(٢٦٠) مجمع البيان، ١٧٦/٥.
(٢٦١) سورة يونس، ١٠١.
(٢٦٢) المصدر نفسه.
(٢٦٣) سورة الجاثية، ٣.
(٢٦٤) الكشف عن مناهج الأدلة من عقائد الملة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٦٨م، ص٦٥، للتوسعة في آراء المتكلمين في هذا الدليل ظ: د. رؤوف الشمري، الوجود الإلهي عند ابن أبي الحديد، ص٩١.
(٢٦٥) الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، (د ت)، ص٤٩.
(٢٦٦) إثبات وجود الله ووحدانيته، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، ص٣٤.
(٢٦٧) د. محمد رمضان عبد الله، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٨٦م، ص٤١٦.
(٢٦٨) ظ: محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤، ص٥٤.
(٢٦٩) د. عثمان بن جمعة ضميري، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والخصائص)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، الإمارات، المجلد ٧، العدد ١، ٢٠١٠م، ص٤، ظ: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١١٧.
(٢٧٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في كتاب الله المنزل، ٢٢٥/٧. كذا في المصدر ولعلها: وأمّا الساذج والزخرف.
(٢٧١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ٢١٦/٣.
(٢٧٢) المصدر نفسه، ٤١٠/٦.
(٢٧٣) سورة الأنبياء، ٢٥.

(٢٧٤) ظ: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٨٤/٢.
(٢٧٥) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، إيران، ط٣، ١٩٩٢، ص٢٠.
(٢٧٦) محمد جواد مالك، العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٨.
(٢٧٧) مسلم الحسيني الحلي، الإسلام دين الوحدة، مجلة رسالة الإسلام، العدد ١، ١٩٤٩، ص٤١٩.
(٢٧٨) الإسلام ثورة من أجل الإنسان، ص٤٠.
(٢٧٩) سورة آل عمران، ٦٤.
(٢٨٠) الآلوسي، روح المعاني، ٢٥٤/٣.
(٢٨١) نهج البلاغة، ٥١/٣، وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: (مُذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، المتقي الهندي، كنز العمال، ٦٦١/١٢، إلا أن جورج جرداق يرى أن بين الكلمتين فرقاً، فيقول: (ولا يظنن القارئ أن الفرق بسيط بين كلمة عمر بن الخطاب اذ يتوجه إلى الأسياد فيأمرهم بألا يستعبدوا أحدا، وبين كلمة علي ابن ابي طالب ـ اذ يتوجه إلى الكافة فيخبرهم بأنهم أحرار، ويجعل الأمر مرهوناً بإرادتهم، لا بإرادة الأسياد إذا شاؤوا استعبدوا وإذا شاؤوا اعتقوا، فالفرق في نظرنا شاسعٌ عظيم، وهو فرق يتناول الأصول لا الفروع، ويشير إلى عمق نظرة الإمام علي إلى مفهوم الحرية...)، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص١٣٤.
(٢٨٢) الكليني، الكافي، ٦٩/٨.
(٢٨٣) سورة التوبة، ٣١.
(٢٨٤) الميزان في تفسير القرآن، ٢١٥/٩.
(٢٨٥) ظ: كمال مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨، ص١٩٥.
(٢٨٦) ظ: فرانك سيفرين، علم النفس الإنساني، ترجمة: طلعت منصور وآخرون، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٥٠٣.
(٢٨٧) سورة الرعد، ٢٨.
(٢٨٨) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧/٢٩١-٢٩٢، لجنة التأليف، مع الله بعيداً عن القلق، مؤسسة البلاغ، مطبعة الستارة، ٢٠٠٩، ١٨١، عدنان النحوي، المسؤولية الفردية في الإسلام أسسها تكاليفها تميزها، دار النحوي للنشر، ط٢،الرياض، ١٩٩٨م، ص١٣٥.
(٢٨٩) نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ٢٤٦/١١.
(٢٩٠) المصدر نفسه، ٢٦٧/١١.
(٢٩١) سورة غافر، ١٩.
(٢٩٢) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧٣/٢٤.

(٢٩٣) نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ٢٦٧/١١.
(٢٩٤) سورة الحشر، ١٩.
(٢٩٥) د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م، ٢١٦.
(٢٩٦) سورة المجادلة، ٧.
(٢٩٧) الكشاف، ٤٨٩/٤.
(٢٩٨) عباس القمي، مفاتيح الجنان (دعاء يوم عرفة)، ص٣١٤.
(٢٩٩) النظام التربوي في الإسلام، ص٢١٧.
(٣٠٠) سورة فاطر، ١٠.
(٣٠١) في ظلال القرآن، ٢٩٣١/٥.
(٣٠٢) سورة مريم، ٨١.
(٣٠٣) سورة النساء، ١٣٩.
(٣٠٤) ظ: الآلوسي، روح المعاني، ٢٢٤/٥.
(٣٠٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/٩، ابن عساكر(ت٥٧١هـ)، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ، ص٣٢٠.
(٣٠٦) ظ: محمد كاظم حسين، المعالم الرسالية في خطبة الإمام الحسين، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف الأشرف، السنة ٩، ٢٠١٢م، العدد٤، ص١٠.
(٣٠٧) سورة النساء، ١٣٩.
(٣٠٨) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٢/٥.
(٣٠٩) سورة المنافقون، ٨. ومن كلام للإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (أن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه)، الكليني، الكافي، ٦٣/٥.
(٣١٠) سورة الحجرات، ١٠.
(٣١١) تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ م. ٢٦٠/٢.
(٣١٢) السقيفة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٩٧٣م، ص٤٣.
(٣١٣) سورة هود، الآية ١١٨.
(٣١٤) المراجعات، دار النعمان، النجف، ط٤، ١٩٦٣م، ص٤٢.
(٣١٥) من مقدمة له على كتاب إسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٢٧.
(٣١٦) سورة آل عمران، ١٠٣.
(٣١٧) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٢٦/٣.

(٣١٨) إشارة إلى حديث الثقلين: (..كتاب الله وعترتي..). ظ: الترمذي(ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، ٣٢٩/٥.

(٣١٩) سورة آل عمران، ١٠٥.

(٣٢٠) الصحيفة السجادية، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي، إيران، ١٤١١هـ، ص٥٢٤،.

(٣٢١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٩٦/٢.

(٣٢٢) المصدر نفسه،٢٢٢/١.

(٣٢٣) البخاري، صحيح البخاري، ٧٧/٧، المجلس، بحار الأنوار، ١٤٢/٢٠.

(٣٢٤) البخاري، صحيح البخاري،١٢٣/١، المجلس، بحار الأنوار، ١٥٠/٥٨.

(٣٢٥) سورة التوبة، ٧١.

(٣٢٦) سورة التوبة، ٦٧.

(٣٢٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٨٤/٦.

(٣٢٨) سورة الحشر، ١٤.

(٣٢٩) التحرير والتنوير، ٩٥/٢٨.

(٣٣٠) وهذا نلحظه على سبيل المثال في قول الدكتور احمد العمصي ومنذر الغماري، وهما بصدد بعض الأمور العقائدية كخصائص الأئمة، قالا: (أن هذه العقيدة المحرفة (...) التي أجمعت عليها الشيعة الإمامية تخرجهم من ملة الإسلام فقد نقضوا توحيد الأسماء والصفات عندما وصفوا ائمتهم بخصائص وصفات وضعتهم فوق مرتبة البشر مما جعلهم يعلمون علم ما كان وما يكون وما هو كائن...)، اثر الهوى على التوحيد، مجلة الجامعة الإسلامية،المجلد ١٤،العدد٢، ٢٠٠٦، ص١٥٩.

(٣٣١) محمد أبو زهرة، الإمام زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٧.

(٣٣٢) ومن ذلك ما يصف به الدكتور عبد الغني حيدر فارع الشيعة الإمامية بالغلو ومناقضة العقيدة، إذ يقول: (ومما وقع فيه بعض أفراد الأمة من هذا القبيل وهو عظيم ما كان من غلاة الشيعة (الرافضة)، حيث غالوا في تعظيم الإمام علي عليه السلام والأئمة الإثنى عشر وكفروا معظم سائر الصحابة فلم يسلم منهم إلا هو عليه السلام وبعض الصحابة، وهذا كله يناقض العقيدة الأمر الذي حذر منه الشارع..). منهج حماية العقيدة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٠٣م، ص٢٣٦.

(٣٣٣) ابن الوزير محمد بن إبراهيم الصنعاني، إيثار الحق على الخلق، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ٤٠٢/١.

(٣٣٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م، ٣٧٦/١٤.

(٣٣٥) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ﷺ، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، (دت)، ص٢٦٤.

(٣٣٦) د. هاني احمد فقيه، خطوات في فقه التعايش والتجديد، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠١٠، ص٥٦.

(٣٣٧) سورة النساء، الآية ١.

(٣٣٨) الميزان في تفسير القرآن، ١١٨/٤.

(٣٣٩) ظ: محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، بيروت، ١٩٨١، ص٣٨.

(٣٤٠) سورة فصلت، ٥٣.

(٣٤١) موسى الهادي، الإسلام طريق المستقبل، دار الفردوس، بيروت،ط٢، ١٩٩٢م، ص٢١، للتوسعة في ثمار الإيمان.ظ: علي طنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. حسن البناء، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، دار العلم، الكويت، ١٩٧٤م.

(٣٤٢) د. كارم السيد غنيم، الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، المجلة الإسلامية، المملكة المغربية، العدد٢٠، ١٩٨٧م، ص٤٩.

(٣٤٣) د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ص٣٣٦، ظ: د. مفتاح محمد عبد العزيز، القرآن وعلم النفس، ص١٨٠.

(٣٤٤) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص٤٢.

(٣٤٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠١٢/٢.

(٣٤٦) د. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

♦ القرآن الكريم (خير ما يُبتدأ به)

♦ شرح نهج البلاغة، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥.

♦ ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر احمد الزاوي وآخر، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٣٦٤هـ ش.

♦ احمد العمصي (الدكتور) ومنذر الغماري، اثر الهوى على التوحيد، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٤، العدد٢، ٢٠٠٦م.

♦ احمد أمين (الدكتور)، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ٢٠٠٠م.
♦ احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).
♦ أحمد فائز، طريق الدعوة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م
♦ أحمد محمد الوزّة، علاقة القضاء والقدر في أفعال البشر، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤م.
♦ الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
♦ باقر الإيرواني: دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، دار الفقه للطباعة والنشر، إيران، ط٣، ١٤٢٨هـ.
♦ باقر شريف القرشي(ت٢٠١٢م)، النظام التربوي في الإسلام - دراسة مقارنة -، دار الكتاب الإسلامي، (دت).
♦ البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
♦ البيضاوي (ت٧٩١هـ) ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٠م.
♦ الترمذي (٢٠٩هـ) محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
♦ توفيق الطويل(الدكتور)، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥٢م.
♦ الجرجاني الشريف (ت٨١٦هـ) علي بن محمد، كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
♦ جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت.
♦ جوادي آملي، الإنسان والدين، ترجمة: عبد الرحيم الحمراني، مؤسسة التأريخ العربي، النجف الاشرف، ٢٠٠٩
♦ حامد احمد الطاهر البسيوني، الوصايا النبوية، دار الفجر، ٢٠٠٥م
♦ حسن البنا، العقائد، نشر: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، ١٩٨٤م.
♦ د. حسن البناء، الإيمان وأثره في حياة الإنسان،دار العلم،الكويت،١٩٧٤م.
♦ حسن الشرقاوي، نحو علم نفس إسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
♦ حنفي احمد، التفسير العلمي للآيات الكونية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
♦ خالد عبد الرحمن العك، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠١م.

♦ الذهبي: أبو الفلاح عبد الحي(ت:١٠٨٩هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م

♦ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر-(ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

♦ الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

♦ الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.

♦ ابن رشد (ت٥٩٥هـ)، الكشف عن مناهج الأدلة من عقائد الملة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٦٨ م.

♦ د. رؤوف الشمري، الوجود الإلهي عند ابن أبي الحديد، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٠م

♦ روجيه جارودي، ماركسية القرن العشرين، ترجمة: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط٤، ١٩٧٨م.

♦ الزبيدي: محب الدين أبو فيض،تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت، (دت).

♦ الزمخشري(ت٥٣٨هـ) أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

♦ أبو السعود (ت٩٨٢هـ) محمد بن مصطفى الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٩م.

♦ سعيد جبار، الإقناع في التربية الإسلامية، دار الأندلس، جدة، ط٢، ٢٠٠١م

♦ سعيد حوى.، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

♦ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

♦ الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) محمد بن عبد الكريم.، نهاية الأقدام في علم الكلام، تحقيق: الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة، (دت).

♦ صالح بن يحيى الزهراني، قيم السلام في كتب التفسير والحديث، دار الرياض، ١٤٢٥هـ

♦ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

♦ الطبري (ت٣١٠هـ) أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

♦ الطوسي (٤٦٠هـ) أبو جعفر محمد بن الحسن التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.
♦ عباس القمي، مفاتيح الجنان، مؤسسة مظلوم للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩م.
♦ عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
♦ عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، مطبعة النعمان، النجف، ط٤، ١٩٦٣م.
♦ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.
♦ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
♦ عبد الغني محمد سعيد بركة، إسلوب الدعوة القرآنية (بلاغة ومنهجاً)، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٣م.
♦ عبد الغني حيدر فارع: منهج حماية العقيدة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٠٣م
♦ عبد الكريم زيدان (الدكتور)، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ٢٠٠٢م.
♦ عثمان بن جمعة ضميري (الدكتور)، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والخصائص)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، الامارات، المجلد ٧، العدد ١، ٢٠١٠م.
♦ عدنان النحوي، المسؤولية الفردية في الإسلام أسسها تكاليفها تميزها، دار النحوي للنشر، ط٢، الرياض، ١٩٩٨م.
♦ عز الدين التميمي وآخر، نظرات في التربية الإسلامية، دار النشر للنشر، عمان، ١٩٨٥م.
♦ ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
♦ ابن عساكر(ت٥٧١هـ)، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ
♦ علي الحسيني السيستاني (المرجع الديني الأعلى المعاصر)، منهاج الصالحين (العبادات)، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
♦ علي السعيدي، أحكام أهل الكتاب في الإسلام، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ١٤٢٧هـ.
♦ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي، إيران، ١٤١١هـ.
♦ فدا حسين حلمي، الوحي بين النبوغ الذاتي والتسديد الإلهي المباشر(رسالة ماجستير في جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية)، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم، ١٤٣١هـ.

♦ فرانك سيفرين، علم النفس الإنساني، ترجمة: طلعت منصور وآخرون، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
♦ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)أحمد بن علي، المصباح المنير، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٨م.
♦ أبو القاسم الخوئي(ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٨٩م.
♦ القاسمي(ت١٩١٤م) محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
♦ القرطبي (ت٦٧١هـ) أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، سعد باسلوم، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
♦ كارم السيد غنيم(الدكتور)، الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، المجلة الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٠، ١٩٨٧م.
♦ كاصد ياسر الزيدي(الدكتور)، الطبيعة في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م.
♦ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) أبو الفداء عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
♦ الكليني محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٦٣هـ ش.
♦ كمال مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨م.
♦ لجنة التأليف، مع الله بعيداً عن القلق، مؤسسة البلاغ، مطبعة الستارة، ٢٠٠٩م
♦ لؤي صافي، العقيدة والسياسة، المعهد العالمي للفكر السياسي، أمريكا، ١٩٩٦م
♦ م. غودفروا (مستشرق فرنسي)، النظم الإسلامية، ترجمة: د. فيصل السامر وآخر، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦١م.
♦ المازندراني محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
♦ المتقي الهندي (٩٧٥هـ)، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
♦ المجلسي (ت١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.
♦ محسن الاميني (ت١٣٩٢هـ)، الشيعة بين الحقائق والأوهام، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م.
♦ محمد أبو زهرة، الإمام زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م
♦ محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

♦ محمد خليفه، الاستعاذة في القرآن الكريم، مجلة الأزهر، مصر، العدد (٥)، مارس، ١٩٨٣م.
♦ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت).
♦ محمد الميسر، عبدة الشيطان في البيان القرآني والتأريخ الإنساني، دار الوفاء، المنصورة،١٤١٩هـ.
♦ محمد اليزدي، أسس الإيمان في القرآن، للناشر، نداء المهدي، قم، ١٣٧٦ هـ ش.
♦ محمد باقر الصدر(استشهد ١٤٠٠هـ)،
ـــــــــ، اقتصادنا، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، مؤسسة بقية الله، النجف الاشرف، ٢٠٠٣م.
ـــــــــ، الإسلام يقود الحياة، مطبعة الديواني، العراق، ط٢، ٢٠٠٣ م.
ـــــ، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
ـــــــــ، المرسل الرسول الرسالة، تحقيق ودراسة: د.عبد الجبار الطائي، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٥م.
ـــــــــ، رسالتنا، مطبوعات مكتبة النجاح، طهران، ط٣، ١٩٨٢م.
♦ محمد بن محمد البارني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الكويت، ١٩٨٩م.
♦ محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
♦ محمد جواد مشكور، العقائد الإسلامية- دراسة منهجية في أصول الدين، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٢م.
♦ محمد حسين الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
♦ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت). الوحي المحمدي، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
♦ محمد رضا المظفر، السقيفة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٩٧٣م.
♦ محمد رمضان عبد الله(الدكتور)، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٨٦م.
♦ محمد عبد الرحمن الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ.
♦ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.
♦ محمد عبده (ت١٩٠٥م)، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣هـ.
♦ محمد عزّة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
♦ محمد كاظم حسين الفتلاوي، أهل الذمة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة كلية القانون، جامعة القادسية، العدد١، المجلد٤، ٢٠١١م.

المعالم الرسالية في خطبة الإمام الحسين، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف الأشرف، السنة ٩، ٢٠١٢م، العدد٤
♦ محمد ناصر الدين الالباني، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م
♦ محمد متولي الشعراوي، إثبات وجود الله ووحدانيته، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، (دت).
♦ محمد مهدي الآصفي، دور الدين في حياة الإنسان، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.
♦ محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، إيران، ط٣، ١٩٩٢م.
♦ محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، بيروت، ١٩٨١م.
♦ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط١٠، ١٩٨٠م.
مقدمة كتاب إسلام بلا مذاهب (مصطفى الشكعة)،مكتبة الأسرة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م .
♦ محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ) تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
♦ المرتضى (الشريف) أبو القاسم علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)
أمالي المرتضى، تحقيق: الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطي، منشورات مكتبة المرعشي ألنجفي، ١٩٠٧م.
♦ مسلم الحسيني الحلي، الإسلام دين الوحدة، مجلة رسالة الإسلام، العدد ١، ١٩٤٩ م.
♦ مفتاح محمد عبد العزيز(الدكتور)، القرآن وعلم النفس، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٧م.
♦ المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: محمد باقر شريف زاده، المكتبة المرتضوية، طهران، ط٤، ١٣٦٩هـش.
♦ ابن منده (ت٣٩٥هـ) محمد بن إسحاق بن يحيى، كتاب التوحيد، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، ٢٠٠٢م.
♦ ابن منظور(ت٧١١هـ) جمال الدين أبو الفضل محمد الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت).
♦ موسى الهادي، الإسلام طريق المستقبل، دار الفردوس، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.
♦ مؤيد العبيدي، الدوافع السياسية وآراء نشوء المذاهب والفرق ومواجهة الإمام الصادق لها (المرجئة نموذجاً)، بحث ضمن: دراسات وبحوث مؤتمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ.

♦ ناصر العقل(الدكتور)، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١١هـ.
♦ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
♦ نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدوداش عبد المجيد، دار التربية للنشر، (دت).
♦ النسفي (ت٧٠١هـ)أبي البركات عبد الله بن احمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.
♦ نسيم ياسين(الدكتور)، شرح أصول العقيدة الإسلامية، مكتبة دار المنارة، ط٤، ٢٠٠٥م.
♦ هادي المدرسي، الإسلام ثورة من أجل الإنسان، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.
♦ هاشم معروف الحسني، صور مشرقة من وحي الإسلام، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣م.
♦ هاني احمد فقيه(الدكتور)، خطوات في فقه التعايش والتجديد، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠١٠م.
♦ ابن الوزير محمد بن إبراهيم الصنعاني، إيثار الحق على الخلق، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.
♦ د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م
ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣م.